الباب الأول

العدوانية واستجابة الضحك
وأدبيات الدراسة

obeikandl.com

obeikandl.com

تقـــديم :

اعتقد المصريون القدماء أن العالم خلق من الضحك ، فحين أراد الإله الأكبر أن يخلق العالم ، أطلق ضحكة قوية فكانت أرجاء العالم السبعة ، ثم أطلق ضحكة أخري فكان النور ، وأطلق ضحكة ثالثة فكان الماء ، ثم خلق الروح من الضحكة السابعة ، لذلك كان الضحك عنصرا أساسيا في الحياة ، وصفة هامه من صفات البشر ، وعاملا قوياً في الربط بين الناس .. ولعل ذلك يفسر لنا روح الفكاهة التي تتميز بها الشخصية المصرية حيث عرف المصريون بحب الفكاهة والميل إلي الضحك لكل شيء ومن كل شيء .

ولعل في هذه الأسطورة ما قد يفسر المقولة التي تربط بين الضحك وبين الإنسان دون سائر المخلوقات .. فالضحك ظاهرة إنسانية في المقام الأول ، ترتبط بالعديد من القدرات الخاصة بالإنسان ، حتي وإن شاركته بعض الأنواع الأخـري (كالقردة العليا) إلا أنه يظل - أي الإنسان - الحيوان الوحيد الذي يعرف كيف يضحك الآخرين ، لأنه يعرف النكته ، ويستخدم الفكاهة ويتفنن في خلق أسباب الضحك حتي أصبح إضحاك الآخرين ، مهنة أو حرفة للبعض ومهارة أسفرت عن فن حقيقي له قواعده هو فن الكوميديا .

ومن هنا ، كان التناول متعدد الرؤي لظاهرة الضحك الأمر الذي أدي بنا إلي أن نضمنه التراث الأدبي الخاص بالدراسة الراهنة ، إذ أن ذلك يساعد في شمولية النظر إلي ظاهرة إنسانية ، فضلا عما يمكن أن يساعدنا في تفسير نتائجنا من أجل مزيد من الفهم .

ومن ثم ، كان الباب الأول من بابي هذه الدراسة ، ليتكفل بالعرض لأدبيات موضوع الضحك .وهو يشتمل علي ثلاثة فصول ، اختص أولهما بعرض الرؤي المختلفة لظاهرة الضحك كما يراها الأدب والأدباء ، والفلاسفة ، وعلماء النفس بدراساتهم المتميزة ، مفصلا في غير إسهاب لوظيفة الضحك الاجتماعية والنفسية ، ثم لفاعلية الجماعة في حدوث استجابة الضحك ، مع التركيز علي علاقة العدوانية باستجابة الضحك كما عرض لها التراث .

أما ثاني الفصول من هذا الباب ، فقد اشتمل علي رؤية الباحث للنقاط التي يمكن أن تكون منطلقات للعديد من الأبحاث الميدانية لهذه الظاهرة ، الأمر الذي أدي إلي اختيار مشكلة البحث الراهن ، فكان تحديد هذه المشكلة وصياغة

الفروض مع التعريفات العلمية للمصطلحات التي ينطوي عليها البحث هو ما تكفل بعرضه الفصل الثاني .

والفصل الثالث كان عرضا تفصيليا لمنهج البحث المستخدم في دراسة المشكلة التي تم صياغتها ، فكان بناء الأدوات وتقنينها ثم الأبحاث السابقة التي تناولت استجابة الضحك ، مع تحديد للعينة ومنطق الاختيار لها دون غيرها هو أهم ما اشتمل عليه الفصل الثالث من فصول هذا الباب .

ونكون بهذه الفصول الثلاثة قد حاولنا العرض لأدبيات الدراسة - لاستجابة الضحك .

obeikandl.com

الفصل الأول
الضحك والتراث النظري

obeikandl.com

obeikandl.com

تقـــديم :

لم تكن استجابة الضحك كما ذكرنا وقفا علي الدراسات النفسية فقط ، بل لكونها ظاهرة إنسانية . فقد تعددت الرؤي والتخصصات التي تناولتها كل من زاويته المحددة .. ومن ثم ، رأينا بقدر شمولية هذه الظاهرة ، أن يكون التراث النظري الذي نعرض له مقدمين لها ، متميزا بالشمولية كذلك . الأمر الذي أدي إلي أن يكون هذا الفصل غير قاصر علي التراث النظري ذي التوجه النفسي فقط ، بل تضمن أدبيات ذات توجهات أخري ، كأن يكون للتوجه الفلسفي في دراسة الظاهرة بعض التواجد ، أو للدراسات الأدبية أن تحتل بعض اهتمامنا دون الإفاضة فيها .

ومن ثم ، فقد جاء الفصل الأول مشتملا علي زوايا للرؤي متعددة ، لا نري في التعدد تناقضا بقدر ما نري فيه تكاملا ، ومنافذ متعددة نطل منها علي فهم ثم تفسير استجابة الضحك لدي الإنسان ، وقد كانت بدايتنا بعرض ما يراه الأدب والأدباء من أطروحات تتعلق بتفسير الضحك ودلالته ، وأنواعه مثلا ، متجاوزين ذلك إلي التناول الفلسفي للضحك مع التركيز علي وظيفة الضحك كما يراها أصحاب هذه التخصصات ، ثم يكون عرضنا المفصل بعض الشيء للإسهامات النفسية التوجه في فهم استجابة الضحك وتفسير دلالتها النفسية ، مع التخصيص لفهم العدوانية في علاقتها باستجابة الضحك كما يراها الفلاسفة ، وكما عرض لها التراث في محاولة لايضاح ما يسفر عنه هذا العرض من إثارة للتساؤلات التي يمكن أن تجيب عليها الأبحاث الميدانية .

فالفصل الأول إذن هو إطلالة من عدة منافذ علي استجابة الضحك التي تمثل محور دراستنا الراهنة . ولقد عملت علي توجيه جهدي حين العرض لهذا التراث أن يكون هناك قضايا يمكن أن أقارن - تشابها واختلافا - بين تناول كل من هذه التخصصات الثلاثة . حتي يبرز واضحا أن تشابهها كان في غير تكرار ، وأن اختلافها كان من أجل التكامل في المنظور .. هذا ما حاولنا - قدر جهدي - أن أميزه من تراث عن الضحك والفكاهة كان في تنوعه ، وتعددت منطلقاته وتباين الآراء حول القضايا المرتبطة بهما ما يجعلني اتفق تماما وجورج مايكيش في وصف ما تميز به هذا التراث من غموض وعدم وضوح إذ قال :

« إن شأننا بعد أن نستعرض كل التعريفات المتوفره عن الفكاهة شأن ذلك

اليهودي الأعمي الذي سأل فتاة صغيرة عن طبيعة اللبن فقالت له : اللبن أبيض اللون . قال الرجل : ولكني شيخ أعمي لا يعرف معني أبيض . فقالت : أن الأوزة بيضـــاء . فقال : أنا لم أر الأوزة قط . فقالت : إن رأس الأوزة منحن . فقال : ما المقصود بكلمة منحن ، فأحنت الفتاة رسغها إلي الأمام كرقبة الأوزة . فتحسس الرجل ذراع الفتاة مرات ثم صاح : الحمد لله ، لقد عرفت أخيرا ما هو اللبن » .

(أحمد أبو زيد ، ١٩٧٦ . ص ٥) .

obeikandl.com

أولا - حول تعريف الضحك :

تباين غير منكور ذلك الذي كشفت عنه أدبيات التراث التي تناولت استجابة الضحك بالتعريف أو التحديد غير أن هذا التباين لم يكشف لنا إلا عن تعدد زوايا الرؤي لهذا الموضوع .. فقد اتجهت بعض التعريفات توجها سلوكيا ظاهريا فإذا بها تعرف الضحك بأنه رد فعل حركي يحدث بواسطة تقلص خمسة عشر عضلة في الوجه مصاحبة بتغير في التنفس . فهو استجابة فسيولوجية بسيطة لمنبه غاية في التعقيد ، ليس لها هدف بيولوجي واضح .

بينما اتجهت تعريفات أخري للضحك علي أساس من الفلسفة لهذه الاستجابة . فتتناول العلاقة بينها وبين استجابة البكاء ، فضلا عن تناوله في علاقته بالأسباب التي تؤدي إليه ، وتعد تعريفات الفلاسفة القدامي من أمثال أفلاطون وأرسطو أمثلة علي هذا النوع من التناول . إذ يعرف أرسطو الضحك بارتباطه بقوة بالدمامة Ugliness والحط من القدر والتحقير debasement كما اعتقد ديكارت Discart أن الضحك هو إعلان عن المرح مختلط بالدهشة أو الكراهية أو بكليهما معا . ثم جاءت قائمة فرنسيس بيكون عن الأسباب المرتبطة بحدوث الضحك لتبرز واضحا عنصر التشوه في المقدمة كمثير لهذه الاستجابة .

(Encyclopaedia Britanica, 1985, p. 470)

ولقد حاولت بعض التعريفات الفلسفية أن تكون أكثر عمقا في تناولها لهذه الاستجابة ، فكان ما افترضه ألكسندر بين A. Bain من شعور مفاجيء بالسمو يداخل المستجيب ويأتي الضحك تعبيرا واضحا ظاهرا عن هذا الشعور ولقد اتفقت في هذا التوجه الكتابات الأدبية التي تري في الضحك تعبيرا عن التفوق الذي يستشعره المستجيب بالضحك .

(عباس العقاد ، ١٩٦٩ ، ص ٨) .

وكما توجهت بعض التعريفات إلي استقراء ما وراء استجابة الضحك من فلسفة تزيد هذه الاستجابة وضوحا ومعني ، فقد كانت هناك توجهات أخري . حاولت تعريف الضحك بالعرض للعملية النفسية التي تحدث للمستجيب حتي تنتهي باستجابة الضحك . ولقد عبر عن ذلك ايمانويل كانت Kant بتعريفه للضحك بأنه الانتقال المفاجيء لتوقع مشحون بالتوتر إلي لا شيء كعملية تؤدي إلي الضحك والتقط هربرت سبنسر H. Spincer هذه الفكرة محاولا صياغتها

فى مصطلحات لها صبغة فسيولوجية ، فقامت فكرته على ما أسماه بالتناقض التنازلى حيث ينتقل شعور الفرد من الأشياء الكبيرة إلي الأشياء الصغيرة . ولقد أدمج فرويد Freud نظرية سبنسر مع بعض التعديلات حين تناوله لتفسير الضحك . فكانت إضافاته إليها ببعض الأفكار الجديدة . فعرف الضحك بأنه مجموع الطاقة النفسية تعبر عن نفسها من خلال قنوات محددة ، وتؤدي إلي تخفف تام من الضغط النفسي (Freud, 1916, P. 226) .

وبينما تناولت بعض التعريفات الضحك في وظيفته الداخلية للإنسان ، توجهت تعريفات أخرى لتحديد الضحك بوظيفته الاجتماعية بين أفراد الجماعات الصغيرة أو الكبيرة ومن الأمثلة علي ذلك ، تعريف برجسون Bergson للضحك كوظيفة للإصلاح ، فالضحك تأديب قبل كل شئ ، وقد وجد للإصلاح ، فلابد أن يشعر الشخص الذي نضحك منه بشعور مؤلم ، والمجتمع ينتقم به ممن يتطاولون عليه . (برجسون ، ١٩٨٣ ، ص ١٤٨)

ونخلص من هذا العرض السريع لتوجهات التعريفات التى تناولت استجابة الضحك إلي التأكيد على تعددها بتعدد زوايا الرؤي لهذه الاستجابة ، ولعل تناولنا للنظرات الأدبية والفلسفية والنفسية - بشئ من التفصيل - لاستجابة الضحك ، ليزيد ما أجملناه من فكرة عن التعريفات وضوحا .

ثانيا - الرؤية الأدبية وتفسير الضحك :

تجمع الكتابات الأدبية على تمتع المصريين بروح الفكاهة منذ أقدم العصور فى التاريخ مع تعدد الأدلة التى يسوقها الكاب وتباينها . فشوقى ضيف يعلل وجود هذه الروح بكونها رد فعل للمعاناة من تناقضات الحياة ، لعصور الشدة والرخاء منذ كانوا يبنون الأهرام ، ثم هى نتاج لأوقات الفراغ الطويلة بين فصلى الزرع والحصـــاد التى هيأت لهم أن ينفسوا عن ذلك بالفكاهة والضـــحك .. فضلا عن هذا ، فالروح الفكهة التى يتمتع بها المصري في جانب منها ، هي نتاج لذكاء المصرى ورهافة حسه ، وحضور بديهته . (شوقى ضيف - ١٩٥٨)

وعلي عكس ما يري شوقي ضيف ، يقول الحسيني فرعون بأن الضحك انما ينبثق لدي المصري لزيادة نصيبه من مصادر القوة والأمن . فمناخ مصر المعتدل هو الذي أدي إلي اعتدال كبير لمزاج المصريين ومبلهم إلى الدعابة والمرح . وإذا كان الخلاف بين الكتاب قد بدا فى تعليل الروح المرحة وحب الفكاهة والضحك التى يتمتع بها المصري ، إلا أنهم قد أجمعوا على اقتران ذكر الضحك والفكاهة بالظرف ، وجمال المظهر والمخبر ، وروعة البيان ولطف الخصال .. فها هو الحوفي في مؤلفه الرائد عن الفكاهة فى الأدب ،يعرف الفكاهة بأنها المزاح ، والرجل الفكه هو الرجل طيب النفس ، المزّاح ، والمزح والمزاح نقيض الجد .
(الحوفى ؛ ١٩٦٦ ، ص ٨)

أما سـيد نوفل فهو يذكر فى مقـالة عن الفكاهة فى الأدب العـربي القديم (سيد نوفل ، ١٩٧٤ ، ص ١٦) بعض أقوال علماء اللغة التى تربط بين الفكاهة والظرف وروعة البيان ، ومن أمثلتهم ، ابن الجوزي ، والحسن البصري ، الكسائي وغيرهم ، ويدلل كذلك سيد نوفل ببعض أقوال الجاحظ - الذي يعد قمة الفن العربي البياني لكل العصور - علي ارتباط الفكاهة والضحك بالمعاني الايجابية ، إذ يري الجاحظ في الضحك أمرا ضروريا لتنشيط الذهن وإدخال السرور علي القلب وتزويد الكائن الحي بطاقة خلاقة في مجالي العلم والعمل .

واتساقا وما سبق ، نجد الحسيني علي فرعون يتحدث عن الضحك باعتباره دلالة الثقة وطمأنينة النفس ، فيعتبر كل مراحل الضحك مبهجة للقلب ، كاسحة للكدر . (الحسيني علي فرعون ، ١٩٧٤ ، ص ٦)

وتتوالي الكتابات الأدبية لتضيف إلي هذه الظاهرة الإنسانية أبعادا أخري

تتجاوز الصبغة الإيجابية إلي نقيضها أحيانا . فكتابات الكردي (محمد الكردي ، ١٩٨٢ ، ص ٨٦١) التي تؤكد في جانب منها علي حدوث استجابة الضحك كنتيجة لتضاؤل الضرورة الملحة للحياة مما يعني خفض الإحساس بالمعاناة ، إلا أنه في جانب آخر من هذه الكتابات يعرض لنوع من الفكاهة والضحك أطلق عليه الضحك المرير أو الفكاهة الشرسة . ويعتبر الكردي لوساج من أهم كتاب هذا النوع من الفكاهة التي تقوم علي القراع باللفظ ، والكلمات القاسية ، ومن ثم كان الضحك الذي تستثيره هذه الفكاهة هو الضحك المرير الذي يترك الغصة في الحلق ، والقبضة في النفس ، والحسرة والأسي علي النماذج المؤسفة التي يتناولها موضوع الضحك(*) .

وكما أضافت كتابات الكردي نوعا متميزا من الضحك لم تحدثنا عنه الكتابات السابقة عليه ، فهي تضيف أيضا أهمية الاتصال الوثيق بين الإنسان وبين وضعه في الحياة مما يعني أن الضحك إنما هو يعكس تصور الإنسان لواقعه ولحقيقته .

وتؤكد وديعة نجم علي هذا المعني الأخير الذي طرحه الكردي ، فتري في الفكاهة التعبير المكثف السريع ، الذي يخفي حقائق اجتماعية وسياسية وفكرية يحفل بها المجتمع . فالفكاهة إذن ليست ضحكة عابرة تمر سريعا ، بل إن لها مدلولاتها الأكثر عمقاً .

(وديعة نجم ، ١٩٨٢ ، ص ٧٤٠) .

ولا شك في أن إشارة هذه الكتابات إلي مدلول الضحك وأهميته في تشخيص موقف الإنسان مما يحيط به من مثيرات اجتماعية سياسية اقتصادية ، لتؤكد بدورها علي أهمية دراسة استجابة الضحك .

أما عباس العقاد بكتاباته عن الضحك ، فإنه يضيف تصنيفاً للضحك ، إذ لا يري ضحكا بعامة ، بل هناك أنواع للضحك تتباين ما بين ضحك السخرية ، والمزاح والعجب والإعجاب إلي ضحك الشماتة والعداوة ، وضحك المفاجأة والدهشة ، وضحك المغرور ، ورغم هذا التصنيف المميز لنوعيات من الضحك ،

(*) نشأ هذا النوع من الفكاهة في القرن الثامن عشر ، مصورا انحلال القيم وضياع الأخلاق في مجتمع الانتهازية والرأسمالية الطفيلية التي تنمو في أوقات الكساد الاقتصادي .

فإنه يعود فيؤكد علي قيمة الضحك في إحساسنا بالاغتباط بأنفسنا لما نحسه من كمالها أو سلامتها من النقص الذي نكشفه في سوانا .

(العقاد ، ١٩٦٩ ، ص ٨) .

وبالإضافة إلي ما سبق ، فقد أسهمت الكتابات الأدبية في إيضاح العلاقة بين الضحك والانفعالات خاصة الخوف والشفقة والرحمة ، إذ يري الحوفي أن للضاحك أن يتجرد من هذه المشاعر لحظة الضحك ، فالكلمة المضحكة أو الموقف المضحك لا يؤدي إلي الضحك إلا إذا كانت النفوس خالية ، هادئة ، وغير مبالية . فضلاً عن هذا ، فقد أضافت هذه الكتابات بعد الجماعة في مقابل الفردية في حدوث استجابة الضحك . فالضحك اجتماعي ، في حاجة إلي تجاوب ، ولهذا يكثر الضحك ويعلو في المجتمعات العامة والخاصة .

وعند حديثهم عن بواعث الضحك ، بينما نجد الكردي يركز علي التناقض في القول أو الفعل كباعث للضحك ، نجد الحوفي يضيف بواعث أخري تتعلق باللعب بالألفاظ ، واللعب بالمعاني (كاستخدام الكتابة) ، ثم الغفلة أو التغافل التي تميز الشخص المضحك .

نخلص من هذه العجالة إلي تحديد ملامح التناول لظاهرة الضحك لدي الكتابات الأدبية في تجاوزها تعريف الضحك ودلالته إلي الحديث عن بعض الأبعاد المرتبطة به كالبعد الخاص بالجماعة مثلا ، أو الانفعالات في علاقتها بحدوث استجابة الضحك . ولا شك في أن ما أبرزته هذه الكتابات ما يستحق منا نحن الباحثين وقفة بل وقفات لاختباره ميدانيا ، فقضية الضحك المرير علي سبيل المثال وإمكانية قياسه لهو بالأمر الذي يحتاج إلي التفكير فيه ، كذلك الأمر الخاص بقضية الجماعة في مقابل الفردية كأحد الأبعاد الهامة في أحداث استجابة الضحك . فأي نوع من الضحك ذلك الذي يرتبط بالجماعة دون الفرد مثلاً ؟ وهل يمكن مثلاً أن تكف مشاعر الأسي والمرارة استجابة الضحك أم العكس ؟ هي تساؤلات تحتاج إلي جهد الباحثين للإجابة عليها من خلال الواقع الميداني .

ثالثا : الرؤية الفلسفية وتفسير الضحك :

إذا كانت الكتابات الأدبية قد اتخذت من دلالة الضحك وبواعثه وتحديد أنواعه منطلقا لها تدور من حولها حين تناولها لهذه الظاهرة ، فإن الرؤية الفلسفية حين عرضت لهذه الظاهرة ، حرصت كأوثق ما يكون علاقة باهتماماتها ، أن تستقرىء ما وراء هذه الظاهرة ، ومن ثم كانت اسهاماتها فيما يتعلق بتفسير العلة وراء استجابة الضحك ، وسبر غور ما لا يكشفه الفرد أو يستطيع فهمه الإنسان العادي من انفعالات وعواطف سلبية وراء هذه الاستجابة .

فأرسطو حين تناوله لاستجابة الضحك فإنه يتحدث عن الدمامة ugliness ، والتحقير والازدراء والحط من القدر كمشاعر يخبرها الضاحك إزاء موضوع الضحك ، وبدون هذه الأحاسيس ، قد لا تحدث استجابة الضحك . ويثني فرنسيس بيكون علي هذا الرأى حين قدم قائمته عن أسباب الضحك ، واضعا في مقدمتها التشوه deformity في السلوك أو في الشخص باعتباره صاحب المكانة الأولي التي تكمن وراء حدوث استجابة الضحك .

ولقد عبر ألكسندر بين Bain عن المعني ذاته حين تحدث عن الإحساس المفاجيء بالسمو Superiority وبالتفوق الذي يداخل الضاحك إزاء الموقف أو الشخص المضحك فكأن الشعور بالتفوق أو السمو هنا هو الوجه الآخر لتحقير وازدراء موضوع الضحك .. ولقد عرض هذا المعني ذاته عباس العقاد حين تحدث عن أسباب الضحك . ولقد حدد سيرماكس بيربوم Sir Max Beerbohm حكيم القرن العشرين عنصرين لابد من توافرهما لحدوث الضحك وهما :

(أ) متعة المعاناة .

(ب) تحقير ما هو غير مألوف (Britannica, 1985, P. 740) .

والرؤية الفلسفية تجسد لنا فكرة توالد الأضداد . فالكراهية والتحقير والازدراء وهي مشاعر سلبية ، تؤدي إلي ظاهرة ايجابية وهي استجابة الضحك .

ولعل من أكثر النظرات الفلسفية تكاملا في تفسير ظاهرة الضحك هي نظرية هنري برجسون Henry Bergson (١٨٥٨ - ١٩٤١) .. فلقد حاول

هـذا الفيلسـوف البحث عن القانون الذي يحكم (المضحك) ويفسر دوافع الضحك ، وخلص من بحثه إلي ارتباط الضحك بفكرة الآلية حيث ينبغي أن توجد مرونة إنسانية يقظة .. فحلل الملهاة وفن المهرج والنكتة بلغة رائعة حية معبرة أصدق تعبير عن المنهج الفلسفي الذي ينفذ إلي نبع الحياة والإدراك الحميم للأشياء وظواهر الكون .

وإذا كانت الآلية هي أبرز الأفكار التي ارتبطت بتفسير برجسون لحدوث الضحك ، فإن فكرته عن الربط بين الضحك وبين كونه العقاب الاجتماعي لم تبعد كثيرا عن فكرة الآلية . ففي الضحك - كما يري برجسون - عقاب اجتماعي موجه للآلية التي تعارض سلاسة الطبع ومرونة السلوك اللتين يكتسبهما الفرد عن طريق التربية والحياة الاجتماعية عامة .

وانطلاقا من فكرة الآلية كذلك ، يتحدث برجسون عن الضـحك في علاقته (بعدم التأثر) فلا يمكن للمضحك أن يحدث هزته إلا إذا سقط علي صفحة نفس هادئة تمام الهدوء منبسطة كل الانبساط ، فاللامبالاة هي وسطه الطبيعي ، وألد أعدائه الانفعال (برجسون - ١٨٨٣ - ص ١٧) ، فكان الضحك يقوم علي السطحية ، والمبالغة ، والتعميم ، فنحن نضحك من عيوب الغير ظانا أن هذه العيوب تظل سطحية بالنسبة لنا ، إذ أن إحساسنا بها لا يمكن أن يكون عميقا وإلا وتأثرنا بها وتنازعت نفوسنا نوازع السخط والحنق .. كما يجب أيضا أن نحتفظ باستقلالنا تجاه الآخر ، فإن أي توحد به أو إسقاط عليه يفسد علينا إحساسنا بالتفوق والتميز . ولذلك يقول برجسون قولته الشهيرة : « إن مجتمعا مؤلفا من عقول محضة قد لا يبكي أبدا ، ولكنه يظل يضحك ، أما النفوس المتأثرة أبدا ، المتصلة بأوتار الحياة ، النفوس التي يترجع فيها كل حادث من الحوادث ترجعا عاطفيا ، فإنها لن تعرف الضحك ولن تفهمه ، فحاولوا لحظة أن تعنوا بكل ما يقال وكل ما يفعل ، واعملوا بالخيال مع العاملين ، واشعروا مع الشـاعرين ، واذهبوا بتعاطفكم إلي مداه ، تروا ، وكأن الأمر بضربة عصا سحرية ، أن أخف الأمور أصبح ذا وزن ، وأن لونا قاسيا قد مر علي الأشياء جميعها ، ثم انصلوا عن الموقف وانظروا إلي الحياة نظرة من يتفرج لا يبالي ، فإن كثيرا من المآسي لتنقلب آنئذ إلي ملاه » . (برجسون ، ١٩٨٣ ، ص ١٨) .

ومن أبرز النقاط التي تستوقفنا في تفسير برجسون لظاهرة الضحك ، تلك التي علقت تذوق الضحك علي الجماعة .. فالضحك مهما نفترضه صريحا ، إنما يخفي وراءه تفاهما ، بل يدعي برجسون أنه تآمراً مع ضاحكين آخر . إذ أن الضحك في حاجة إلي صدي ، ومن ثم إلي جماعة .

فاستجابة الضحك تنطوي ضمنا علي وجود الآخر ، ذلك **الآخر الذي أهزأ منه ، أو الآخر الذي أسخر منه ، أو الذي لا أتعاطف معه** ، ثم أنه لابد وأن يكون هناك **الآخر الذي أتبادل معه النكتة ، أو أقلده في الضحك** ... إلخ .. ولقد ثني آرثر كيسلر علي أهمية الجماعة لحدوث استجابة الضحك . غير أن كيسلر لم يعتبر الجماعة وضرورة تواجدها وقفا علي حدوث الضحك فقط ، بل إنه يسوق لنا استجابات سلوكية أخري يلعب وجود الجماعة دورا هاما في إحداثها مثل البكاء بين الأطفال ، حيث تساعد الجماعة علي انتشار عدوي هذه الاستجابة .

ولقد أكد زكريا إبراهيم علي مقولة كيسلر في ارتباط الجماعة ببعض الاستجابات السلوكية الأخري ، فيضيف ظاهرة التثاؤب مثلا ، أو الفزع الشديد ، أو الحماسة . ويفسر زكريا إبراهيم دور الجماعة في سريان هذه الاستجابات عبر أفراد الجماعة يعزوها إلي ظاهرة الإشعاع السيكو - فيزيائي ، التي تعمل بمثابة العدوي التي تنتقل إلي الأفراد داخل الجماعة الواحدة .

غير أن سالي Sully حين يتحدث عن علاقة الجماعة بحدوث استجابة الضحك ، يعلق أهمية هذا الدور علي حظ المجتمع من التحضر . فهو يري أن لضحك في المجتمعات المتحضرة إنما يميل إلي اكتساب الطابع الفردي ، ويصبح الفرد أكثر قدرة علي الضحك والاستجابة للمؤثرات الفكاهية بمفرده ، أو حتى وهو في عزلة عن الجماعة . (زكريا إبراهيم ، ١٩٨٨ ، ص ٤٠)

يمكن الرجوع إلي المصادر الآتية لاستيفاء النظرية :

١ - هنري برجسون ، الضحك ، ترجمة سامي الدروبي وعبد الله عبد الدايم ، ١٩٨٣ .

٢ - زكريا إبراهيم ، سيكلوجية الضحك والفكاهة ، ١٩٨٨ .

٣ - أندريه كرسون ، برجسون ، ترجمة محمود قاسم ، بدون تاريخ .

وقد ارتبط بنظرية برجسون عن أهمية الجماعة في حدوث استجابة الضحك ، العرض لوظيفة الضحك باعتباره السيف الذي تسلطه الجماعة علي رقاب الخارجين علي معاييرها الجمعية وآدابها العامة ، وكذلك كل من تسول له نفسه الخروج علي هذه المعايير أو السلوكيات الجمعية . فالضحك تأديب قبل كل شيء ، وقد وجد ليخزي ، فلابد أن يشعر الشخص الذي نضحك منه بشعور مؤلم ، والمجتمع ينتقم به ممن يتطاولون عليه . (برجسون ، ١٩٨٣ ، ص ١٤٨) . وبقدر ما يقوم الضحك بهذه الوظيفة العقابية الرادعة ، بقدر ما يكون له صداه الإيجابي المتمثل في تقوية الجماعة والمحافظة علي كيانها . ومن ثم كان القول بوظيفة الضحك في العمل علي صيانة الاستقرار الفكري والعاطفي في الجماعة ضد عوامل الفرقة والتنافر .

وانطلاقا من فكرة الآلية ، يتحدث برجسون كذلك عن بواعث الضحك . إذ بينما تتحدث الكتابات الأدبية عن هذه البواعث في تحديدها في فكرة التناقض التي يمكن أن تعبر عنها الألفاظ المستخدمة أو المعني المقصود أو السلوك الذي يؤتيه الشخص المضحك ، نجد برجسون يطرح علينا تصنيفاً أكثر عمومية من التفضيلات السابقة . فهو يحصر هذه البواعث في أفكار ثلاثة هي :

(أ) فكرة التكرار :

والتأكيد هنا علي تكرار الموقف وليس تكرار الكلمة فهي مجموعة من الظروف تعود كما هي مرات عديدة . ويستمد برجسون - أو يدلل - ببعض المواقف المضحكة لكتاب الكوميديا ، كمسرحيات موليير مثلاً .

(ب) فكرة القلب :

ويقصد بالقلب هنا انعكاس الأدوار . فإذا بالخادع ينقلب مخدوعا ، والسارق يصبح مسروقا . وقد نعبر عن هذا بالسلوك أو بالكلمة .

(جـ) فكرة التداخل :

ويقصد به تداخل سلاسل من الأحداث مستقلة تماماً عن بعضها . وأحد أشكالها تذبذب الفكر بين رأيين متعارضين ، أو مواقف الالتباس في المسرحيات الهزلية .

وكما نرى ، فقد أراد برجسون أن يقدم لنا نظرية شاملة وافية نستطيع أن نفسر بها ظاهرة الضحك وإن كان تركيزه علي الشيء المضحك – موقفا أو شخصاً أو نكته .. وأعود مرة أخري إلي التعليق علي الرؤية الفلسفية برمتها لظاهرة الضحك فأقول أنها مع هذا العرض الموجز في غير إخلال بالمضمون قد قدمت لنا المقدمات العامة التي تفسر ظاهرة الضحك سواء من حيث استقراء الانفعالات الكامنة وراء هذه الظاهرة ، أو من حيث تصنيف الفئات الأكثر عمومية لبواعث الضحك التي يمكن أن تتسع لكثير من التفصيلات التي قدمتها الرؤي المغايرة ، أو من حيث وظيفة الضحك ودوره في تأديب الخارج علي معايير الجماعة ، وفي زيادة تماسك الجماعة ووحدتها في آن واحد .

وبكل ما مثله التراث الفلسفي من شمولية وعمق ، كان منطلقاً لغيره من التوجهات في النظر إلي استجابة الضحك ، كالتوجه النفسي مثلا في تناول هذه الاستجابة بالدراسة ، وهو ما يتضح بعد ذلك .

رابعا : الرؤية النفسية وتفسير الضحك :

أجمعت الكتابات كما رأينا علي أن الضحك هو ظاهرة إنسانية في المقام الأول ، ومن ثم فهو من أخص خصائص الموجود البشري ، فارتبط الضحك بالمقدرة اللغوية ، والنشاط الذهني والقدرات والميول الاجتماعية والنزعات العدوانية . وهي كلها من خصائص الإنسان دون غيره من الكائنات .

ولقد ارتبطت البدايات الأولي لعلماء النفس في تفسير استجابة الضحك بالتوجه الفسيولوجي في تفسير هذه الاستجابة ، الذي بدأته النظرات الفلسفية متمثلة في تفسير كل من ديكارت Discart وكانت Kant فكما يري ديكارت أن الضحك هو انفعال جسمي بحت وإن كان في وسع العقل أن يتحكم فيه حينما يتحقق أنه وليد خطأ في الحكم .. أما كانت فهو حين يفسر الضحك لا يري فيه فائدة سيكلوجية بالنسبة للفكر ، وإنما تنحصر فائدته في الآثار الفسيولوجية الطيبة التي يتركها علي الجسم . إذ أنه يرى أن الضحك يحدث ضربا من الاتزان فيما بين القوي الحيوية الموجودة لدينا .

وحينما حاول علماء النفس دراسة مشكلة الضحك مع التأثر بهذا التوجه الفسيولوجي لتفسير ظاهرةالضحك ، لجدهم قد حاولوا تفسيرها في ارتباطها بانفعال السرور المصاحب لها . فاعتبروا أن السرور هو العلة الحقيقية للضـــحك (ماكدوجال Mcdougal ، لوسيان فابر Lucien Fabre) كما يستطرد ماكدوجال في هذا التوجه حين يؤكد أن للضحك من الآثار الفسيولوجية ما لا يقل أهمية عما له من آثار سيكلوجية لأن من شأنه أن يرفع من ضغط الدم كما يدلنا علي ذلك احمرار وجه الشخص الضاحك من أعماق قلبه .

(New Encyclopaedia, 1985, p. 740) .

وحينما تحدث يوسف مراد عن تفسير ظاهرة الضحك لجده قد توخي الاتجاه الفسيولوجي كذلك في تناولها إذ يقول : إن الضحك عبارة عن اختلاجات عضلية متقطعه تستهلك الكمية الفائضة من التوتر الذي تجمع في العضلات ، وإذا استمر التنبيه وعجز الضحك عن استنفاد التوتر ، انتقلت آثار الدغدغة إلي العضلات الحشوية فتنبه بعض الغدد وخاصة الغدد الدمعية ، ويتحول الضحك إلي بكاء ، وحينئذ ترتخي العضلات .

(يوسف مراد ، ١٩٦٢ ، ص ١١٤) .

وإذا كان عالمنا هنا متأثراً بالتوجه الفسيولوچي في تفسير حدوث الضحك ، فهو متأثر كذلك بالتوجهات الفلسفية السابقة عليه في تعريف الضحك وارتباطه بمفهوم التوتر .. وقد كان أول من أشار إلي هذا المضمون الفيلسوف كانت حين تبين أن السبب الذي يؤدي إلي حدوث الضحك هو الانتقال المفاجيء لتوقع مشحون بالتوتر إلي لا شيء .. وكما يطرح علينا هذا التعريف ارتباط حدوث الضحك بشحنة من التوتر يتواجد عليها الفرد ، فهو يرتبط كذلك بعنصر المفاجأة ، الذي ينطوي علي قطع للاتجاه الذي يسير فيه اتجاه الشخص المستمع أو المشاهد للموقف الفكاهي وهذا القطع هو الذي يفضح زيف توقعات السامع المثيرة ، الأمر الذي يؤدي إلي أن التوتر الذي يستشعره يتزايد مع زيادة تفاصيل الموقف ، يصبح فجأة زائدا عن الحاجة ويفجر في الضحك .. ومن ثم ، أصبح الضحك هو تعريف لاستجابة حركية أصبحت بلا نهاية ، ولا بد لها من أن تعمل من خلال قنوات فسيولوچية بأقل مقاومة .

ويعكس لنا تناول سيجموند فرويد لظاهرة الضحك ما حظي به مفهوم التوتر ووظيفة الضحك في التخفف منه من اهتمام وتقدير يتناسب تماما ومفاهيمه الأساسية عن بناء الشخصية والميكانزمات التي تعمل وفقا لها .. فالضحك مثله مثل ميكانزمات الدفاع التي تقوم بحماية البناء النفسي للفرد فعن طريق الضحك يمكن للفرد أن يجد منفذا للتخلص من الضغوط النفسية التي يعاني منها . فالابتسامة هي تقلص لعضلات الفم باعتبارها تعبيرا مبكرا للتخفف من الضغط ، وبالمثل الزفير المتفجر في الضحك إنما يعمل علي تنفيث الضغط الزائد للخارج في نوع من الرياضة التنفسية وإيماءات حركية ، كلها تخدم بوضوح هدف التخفيف من الضغط والتوتر النفسي ومن ثم تعمل علي التسوية النفسية(*)

(New Encyclopaedia, 1985, p. 741) .

ومن ثم ، فقد رأي فرويد في النكته Wit مضمون عمل الحلم ووظيفته .

(*) ذكر فولتير الفيلسوف الفرنسي الساخر مؤكدا أهمية الضحك في هذا الصدد : لو لم نهب لنا ضحكاتنا لشق الناس أنفسهم ، ويل للفلاسفة الذين لا يبتسمون بالضحك تجاعيدهم ، لأن العبوس في نظري مرض عضال .

(زكريا إبراهيم – ١٩٨٨ – ص ٦٤) .

فهي تشتمل كذلك علي التورية ، والرمزية والاختزال والتأويل (Freud, 1916, p. 261) فالحلم علي ما يتصف به من إيجاز ورمزية ، فإنه منفذا لتخفف الفرد من ضغوطه النفسية . وفي النكته الجنسية تبدو الرمزية أوضح الصفات التي تميزها ، بل لولا ما فيها من عنصر رمزي ، لما كان لها الطابع الفكاهي وأصبحت روايات بذيئة وأقاصيص مبتذلة .. فالرمزية هنا تؤدي نفس الدور الذي تؤديه في الحلم لأنها تحجب المجرم خلف ستار جدي أو مظهر محترم .

وكما تساعد الفكاهة بعامة والنكتة بخاصة علي التخفف من الضغوط النفسية . فهي أيضا - كما يري الباحثون في علم النفس - بما تمثله من لهو ولا واقعية ، تعني شيئا من النكوص أو الارتداد نحو مرحلة سابقة من مراحل النمو وكأن البالغين يريدون عن طريق الضحك أن يعودوا إلي طفولتهم المبكرة ، حتي تسقط عنهم متاعب الحياة الجدية(*) . ومن ثم فقد فسر فرويد الفكاهة - في حديثه عن العلاقة بين الكوميديا ومرحلة الطفولة - بأنها محاولة لاسترداد الضحك الطفولي المفقود Lost infantile Laughter .

فضلاً عن هذا ومن خلال تحليل المواقف الفكاهية المتباينة أضاف فرويد إلي الوظيفتين السابقتين وظائف أخري تؤديها استجابة الضحك للبناء النفسي للفرد . فقد تكون استجابة الضحك تعويضا عما ألم بنا من سوء حظ أو إهانة ، أو وليد ضرب من التفاهم الرمزي الذي يتم بين شخصين أو أكثر علي مستوي متقارب - أو متحد - من العمر والمستوي الاجتماعي الاقتصادي كما في النكات الجنسية حيث يؤدي هذا التقارب إلي التقليل من حدة الشعور بالإثم أو القلق .

(Freud, 1916, p. 364)

وأيا كان طبيعة العمليات النفسية ، أو طبيعة الموقف الذي أدي إلي تفجير استجابة الضحك فإنه يجمعها (ذلك التوتر) الذي يتم تفريغه من خلال نوعيات

(*) ولقد عبر ستانلي هول Hall وآلن Allin عن هذا المعني ذاته حين كتبا يقولان : إن العالم الواقعي ليصبح في لحظة الضحك وكأن لا وجود له ، أو كأنما هو قد أصبح منسيا . وعلق لالو علي هذا المعني ذاته حين قال :

أجل فإن الحياة هي الفردوس المفقود ، وأما الضحك فهو الفردوس المستعاد (زكريا ابراهيم - ١٩٨٨ ، ص ٦٥) .

من المواقف الفكاهية أو النكات ، أو المواقف الحياتية بشكل عام .. ولكن يظل أن عمليات تفريغ الطاقة في استجابة الضحك يتم دائما تحت إشراف الأنا ، بعكس ما يحدث في حالات الأعراض العصابية والأمراض النفسية . ومن ثم كان التوجه للفكاهة باعتبارها أسلوبا صحيحا سويا يساعد علي تفريغ الطاقة .. ولا شك أن الأبحاث في الفترة الراهنة لتشير إلي الاستخدام الفعلي لهذه الاستجابة والإفادة منها في العلاج النفسي ، وفي المجال الطبي [١] ، [٢] ، [٣] .

وكما عرض فرويد في كتابه عن النكتة واللاشعور لوظيفة الضحك والفكاهة في إعادة التوازن النفسي للفرد ، فقد عرض كذلك لأهمية الجماعة في تعميق هذه الوظيفة . فهو لم يتحدث عن أهمية الجماعة علي إطلاقها بالنسبة للكوميديا وتحقيق الهدف النفسي فيها ، بل رأي في الجماعة ضرورة لتذوق النكتة وتحقيق الاستجابة المرجوة منها دون سائر المواقف الكوميدية الأخري . إذ أن رواية النكتة وتذوقها يشترط بالضرورة وجود جماعة صغيرة مؤلفة من ثلاثة أفراد هم : راوي النكتة ، المروي عنه ، ثم المستمع أو المستقبل للنكتة ، وحدوث استجابة الضحك التي تعبر عن تذوق الفرد للنكتة إنما يفترض تماسكاً اجتماعياً أو شبه اجتماعي ، أو مشاركة نفسية يساعد علي حدوثها إذ يعتبر في الاستجابة بالضحك لنكتة ما هو دليل علي الاشتراك في عقلية واحدة ، أو إنتماء لفصيله نفسية واحدة .

وبناء علي ذلك ، تصبح العملية النفسية حين الاستجابة بالضحك لأي من المواقف الفكاهية ، إنما تتم بين الأنا (الشخص المستمع أو المشاهد) وبين الآخر (الذي يتمثل في الموقف الفكاهي) ، دون ضرورة للشخص الثالث . أما في

---

(١) يستخدم الضحك في تخفيف الضغوط النفسية لدي المرضي قبل إجراء عمليات جراحة الإسنان .

(Trice & Price, 1986, p. 265-266) .

(٢) يستخدم الضحك بواسطة المرشد النفسي لتخفيف الضغط النفسي وتوفير المناخ العقلي المرح .

(Leone, 1986, p. 139-142) .

(٣) استخدم الضحك في مساعدة العلاج الطبي وذلك بتأثيره علي إدراك الآلام في الأمراض المزمنة لدي كبار السن .

(Adams & Mcguire, 1986, p. 157-175) .

موقف رواية النكتة ، فالعمليات النفسية تتم بين ثلاثة أفراد : الأنا (المستمع) والآخر (الراوي) أما الشخص الثالث والمتمثل في المروي عنه (أو الضحية) فهو مطلب رئيسي للمستمع (مستقبل النكتة) حتي يحدث التذوق والاستجابة الملائمة للنكتة ... نتاجا لهذا إذن ، فإن رؤية فرويد لأهمية الجماعة لحدوث استجابة الضحك إنما يعلقها علي نوعية الفكاهية المقدمة .. ولكن تظل هذه القضية قابلة للاختبارفي بحوث مستقبلية عن الفكاهة خاصة إذا ما توجهنا إلي بحوث تجريبية للإفادة من استجابة الضحك في تخفيض مستوي التوتر ، وعمليات العلاج والإرشاد النفسي .

تقودنا إذن الدراسات النفسية النظرية حول الفكاهة واستجابة الضحك إلي تحديد عدد من القضايا النفسية ترتبط بها وهي :

١ - وظيفة الضحك في استعادة التوازن النفسي للفرد .

٢ - ارتباط أهمية الجماعة بتذوق الفكاهة إنما هو أمر يعلقه المتخصصون علي نوعية الفكاهة .

٣ - استجابة الضحك هي مطلب فسيولوچي لاستعادة التوازن الحيوي لدي الفرد .

٤ تشابه استجابة الضحك والبكاء في أدائهما لوظيفة واحدة للفرد وهي التخفف من الضغوط النفسية والتوتر الذي يعايشه الفرد .

وهذه - كما نرى - هي قضايا لم تخرج عنها التعريفات المختلفة والمعالجات النظرية التي تناولتها من قبل الكتابات الأدبية أو الفلسفية كل من زاوية رؤيته الخاصة . ولكن يبقي مع ذلك ما تفرد به كل تخصص عن الآخر ، فكان للكتابات الأدبية تفردها باعتبار اللغة ومفرداتها من بواعث الضحك لدي الإنسان ، وكان للتخصص الفلسفي عطاؤه في مجال استقراء ما وراء استجابة الضحك وما تعنيه من مشاعر التفوق والسمو اللذان يداخلان الضاحك ، والتأكيد علي معطيات الأعمال العقلي وتنحي مشاعر التعاطف حتي يمكن أن يحدث الضحك . أما

التفسير النفسي فقد تميز تراثه بما للضحك من وظائف نفسية يسديها للفرد متمثله جميعها في هدف واحد هو التخفف من الضغوط النفسية واستعادة الفرد لتوازنه الحيوي والنفسي ، فضلا عما ألمح إليه فرويد من اختلاف معني الضحك باختلاف الموقف الفكاهي من ناحية ، وباختلاف العمليات النفسية التي يتم عن طريقها التحرر من التوتر ومن ثم الاستجابة بالضحك من ناحية أخري .

وهنا يأتي الحديث عن العدوانية واستجابة الضحك وهو ما يتكفل به العنصر التالي .

obeikandl.com

خامساً - العدوانية واستجابة الضحك :

أشارت الكتابات السابقة الفلسفية والنفسية والأدبية إلي ما في استجابة الضحك من مشاعر التفوق والسمو اللذان يداخلان الضاحك إزاء القصور أو النقص أو المخالفة لما هو متعارف عليه اجتماعياً ويتضمنه الموقف الذي يستثير الضحك .

فضلاً عن هذا ، فقد أشارت نظرية برجسون في الضحك إلي أهمية فقدان الضاحك لمشاعر التعاطف والإشفاق تجاه موضوع الضحك حتي يمكن أن تحدث استجابة الضحك وهو ما أطلق عليه برجسون الخدار اللحظي للقلب Momentary Anesthesia of the heart أو فقدان الحس اللحظي للقلب ، ومن ثم كان التأكيد علي فاعلية انفعالات الخوف والشفقة في كف استجابة الضحك أو عدم استثارتها علي الإطلاق .

كما يطرح التراث كذلك(**) في تعريفه لاستجابة الضحك بأنها استجابة تخفي وراءها انفعالا هو العدوانية مفرغة من هدفها . ومن ثم ، فإن الفكاهة من أشكالها القاسية الجامدة إلي أشكالها الناعمة الرقيقة ، ومن النكته العملية إلي المشكلات العقلية ذات المستوي العالي من التعقيد تنطوي ضمنا علي هذا العدوان ، بل هو المقوم الرئيسي حتي تحدث استجابة الضحك .. وفي ضوء ما عرضه التراث من مشاعر التفوق والسمو اللذان يداخلان الضاحك إنما هو قناع يخفي مشاعر الحقد والتحقير والازدراء كما يبدو في غياب التعاطف مع الضحية في الموقف الذي يستثير الضحك (نكتة لفظية أو مصورة - موقف كوميدي) معني هذا إذن أن أسباب الضحك إذا تمثلت في تحقير الضحية أو السخرية منها أو إظهار مشاعر الخشونة تجاهها قد تكون دليلاً علي هذه العدوانية التي لابد وأن يتمتع بها المستجيب للمواقف الكوميدية بالضحك .

وفي أنواع الفكاهة الخفيفة ، قد يبدو هذا الميل العدواني غاية في الشحوب

(*) New Encyclopaedia Britannica, 1985, p. 739.

(*) Freud, Wit and its relation to the unconscious 1916.

* زكريا إبراهيم ، سيكلوجية الفكاهة والضحك ، ١٩٨٨ .

حتي لا يتسني الكشف عنه إلا بالتحليل الدقيق ، مثل وجود الملح في الطعام المطهي بعناية فائقة حتي ليصبح لا طعم له بدون الملح . وإحلال هذا العدوان محل الإشفاق هو الذي يحيل الموقف من مثير يدعو للشفقة إلي فكاهة ، كما يحيل الدراما إلي تقليد ساخر أو محاكاة مضحكة .

وتبدو هذه العدوانية واضحة وضوحاً تاماً في النكات التي تستثير ضحك الأطفال ، والإنسان غير المتحضر ، لأن كليهما لا يستطيع بل لا يعرف كيف يقنع مشاعره أو يخفيها . أما الرجل المتحضر فإنه يستطيع أن يكسب عدوانيته شكلا مختلفاً .

وإذا كان التحضر والمدنية هما من أسباب إخفاء العدوان تحت مظاهر متعددة أخري ، فإن الرخاول قد ذكر في مقاله الرائد عن العدوان والإبداع (يحيى الرخاوي ١٩٨٠ ، ص ٦٨) تفصيلاً لما أطلقنا عليه جملة التحضر أو المدنية . إذ أن هذا التحضر يتمثل في عدم وجود صورة اجتماعية أو شرعية يمارس فيها الإنسان المعاصر عدوانه علي أخيه الإنسان بشكل مباشر ومعترف به اللهم إلا بعض أنواع الرياضة البدنية الالتحامية كالمصارعة والملاكمة .. فضلاً عن هذا ، فإنه لا يوجد أي تقدير أو تقبل طبيعي يسمح للفرد بالحديث من ميوله العدوانية ، ثم انه لا توجد صور أدبية أو فنية تعلي من قدر العدوان .

إذن والأمر كذلك ، والعدوانية هي واحدة من الغريزتين اللتين علق عليهما فرويد الوجود البشري ، بل قد تفوق في قوتها الغريزة الأخري المتمثلة في الجنس ، والتعبير عنها واجبا وضروريا ، كان لابد وأن تتخذ مسارا غير مباشر ، فكانت الأشكال المحورة تعبيرا عن هذه الغريزة . فكان ما اقترحه تينبرجن Tinbergen خلاصة تجارب علماء الحيوان وعلماء الأثولوجى من إحلال التهديد محل القتل ، أو إعادة توجيه مسار العدوان Redirection ، ثم الإعلاء Sublimation الذي قال به فرويد .

ويري الرخاوي في تأكيد الذات في مواجهة الآخرين تعبيرا معاصرا آخر عن هذه الغريزة . وهو في هذا إنما يتفق مع إيرك فروم E. fromm في حديثه عن العدوان باعتباره تأكيدا للذات . فضلاً عن هذا فقد رأي الرخاوي في التعويض

التفوقي بالنجاح والكسب والسيطرة والانتصار بكل صوره ميكانزما إبداليا للتعبير عن غريزة العدوان ، ومن ثم ، فهناك نوع من الإبداع يمكن أن يستوعب الطاقة العدوانية ويطلق عليه الرخاوي (الإبداع الخالقي) ليميزه عن الإبداع التواصلي الذي ينطلق من الجنس .

وقد كان مخيمر بتعريفه للعدوانية من الذين حاولوا النظر إلي العدوانية بمنظار جديد يختلف عما رآه فرويد في هذه الغريزة ، فقد عرفها بأنها أشبه ما تكون بالنيران التي تدمر بحريقها وتضيء بنورها وتتيح بحرارتها للحياة أن تتكاثر وتتواصل بحيث يصدر عنها التدمير كما يصدر عنها الإبداع والتكاثر . ويستطرد في تصويره لإيجابية الوظيفة التي تقوم بها العدوانية فيقول : « كل شيء يبدو وكأن العدوانية هي هذه العربة الذهبية التي يقودها أبولو ، تمضي علي مهل فتتيح للحياة بحرارتها المعتدلة وأضوائها الناعمة أن تزدهر وتزدهر تكاثراً وإبداعاً » . (مخيمر ، ١٩٨١ ، ص ١٢) .

نخلص من هذا إذن إلي أن العدوانية التي ارتبطت لدي بعض المنظرين وعلي رأسهم سيجموند فرويد بالتحطيم ومن ثم بالموت ، يرى البعض الآخر - حديثا - هذا الجانب الإيجابي الذي يمكن أن تقوم به هذه الطاقة العدوانية حتي لتصبح في خدمة غرائز الحياة .

وارتباط العدوانية بالفكاهة ومن ثم باستجابة الضحك إنما يمثل خطوة علي سبيل التحقق من إيجابية العدوانية وخدمتها لغرائز الحياة ، غير أن الدراسات الميدانية في هذا الصدد لم تميزها الندرة فقط ، بل ما وجد منها ، لم يقترب اقترابا مباشراً مفسرا لطبيعة العلاقة بين العدوانية واستجابة الضحك ، وهو ما يوضحه علي نحو أكثر تفصيلا - في الفصول التالية - عرضنا للدراسات السابقة (تجريبية وميدانية) في مجال الفكاهة . ولكن ما يعنينا ذكره هنا والآن أن (استجابة الضحك) لم تمثل محور اهتمام من قبل هذه الدراسات علي اختلاف تناولها المنهجي ، فضلا عن هذا ، فقد احتل (الحس الفكاهي) لدي الإنسان - أطفالا وكبارا - جُل الاهتمام من قبل الدراسات ومن ثم كان للأبحاث التجريبية النصيب الأكبر من هذا الاهتمام ، وحظيت الدراسات المقارنة - الميدانية - ببعض الاهتمام .

غير أنه مع هذه الندرة التي تميزت بها الأبحاث في مجال الفكاهة فضلاً عن عدم المباشرة في تناول المتغيرات موضع البحث الراهن ، إلا أنه قد كان لها فضل إثارة الاهتمام ومن ثم التساؤلات حول متغيرات هذا البحث وغيرها من المتغيرات ذات العلاقة باستجابة الضحك .. فعلي سبيل المثال ، كان للأبحاث التي أشار إليها فيشر S. Fisher وفيشر R. Fisher في مؤلفهما عن فناني الكوميديا المحترفين والهواة ، والمهرجين معطيات علي درجة عالية من الجودة تتطلب الوقفة العلمية من الباحثين . (R. Fisher and S. Fisher, 1981) إذ لكونها دراسات كلينيكية علي حالات تمثل هذه النوعيات من البشر ، فقد ميزها الثراء في تفصيلات الشخصية ، ومثيرات البيئة ، وعلاقات التفاعل القائمة بين الفنان وبين المتلقي .

فقد أكدت دراسات بلز Bales (١٩٧٠) في هذا المؤلف علي ارتباط العدوانية باحتراف الكوميديا أو ممارستها عن هواية(*) ارتباطا موجبا . بينما كانت نتائج أبحاث فيشر وفيشر خطوة أخري في سبيل الاقتراب من شخصية هؤلاء – فناني الكوميديا والمهرجين – فقد خلصت إلي ارتباط بعض السمات كالسيطرة ، والاتزان ، والاجتماعية وقوة الاحتمال ارتباطا سالبا بهذه الشخصيات علي حين ارتبطت المبادأة وسرعة الاستجابة ، والتلقائية ، والاستمتاع بالحركة النشطة(**) ارتباطا موجبا .. فضلا عن هذا ، فقد أشارت دراسات ويلفورد Willford عن هذه الشخصيات ، ما تتمتع به من تناقضات . فأداء المهرج يتضمن بذل نفسه وإلقاء النكات والقفشات كأنه يوجه رسالة مفادها : إنني سأفعل أي شيء لأجعلك

(*) تم اختيار الهواة عن طريق :

١ – تصنيف الآخرين لهم بأنهم مرحون ويحبون الفكاهة .

٢ – استجابات الأفراد علي عبارات مقياس يعبر عن حب الفكاهة .

٣ – تقدير الآخرين لهم من خلال عينات تسجيلية لسلوكهم .

(**) عضدت هذه النتيجة ، دراسات ماك جي McGhee (١٩٧٩) عن الروح الفكاهية عند الأطفال ، ارتباط المهارات الحركية والمثابرة في النشاط الحركي بالقدرة علي خلق الفكاهة والمرح .

(S. Fisher, 1981, p. 139).

مسرورا ، وحتي وإن تطلب الأمر أن أسخر من نفسي ، وذلك لأنني أريد أن أجعل العالم مرحا خاليا من كل عناصر التهديد .

وفي ذات الوقت ينطوي هذا الأداء أيضا علي تيار يتناقض مع ما سبق ، كشفت عنه الدراسات المتعمقة لشخصية هؤلاء ، يتمثل هذا التناقض في التصريح بما يرونه في هذه المهنة من وسائل القوة وممارستها علي المتفرج . كما يتمثل هذا التيار المعادي كذلك في تحليل مضمون الأعمال التي تدعو للفكاهة . فالمهرج - أو فنان الكوميديا - إنما يستحضر ويمعن النظر في الموضوعات المجرَّمة اجتماعيا ، والتي قد لا يقوي الإنسان علي نقدها أو مصارحة ذاته بها ، بينما هو من خلال استخفافه بهذه الأمور وبتعريته للكثير من هذه الأشياء التي يحاول الناس إبعادها عن مثولها في مجال الوعي ، إنما يعبر عن سلوك يتناقض مع رغبته في صداقة المتفرج والتضحية بكرامته من أجل تسليته وإسعاده .

خلاصة ما سبق ، أن ما عرضته - في عجالة شديدة - لنتائج الأبحاث والتي أزعم عدم مباشرتها لدراستها العدوانية في علاقتها باستجابة الضحك ، كان له فضل إثارة العديد من التساؤلات التي لا تتسع لبحث واحد عن الفكاهة . فعلي سبيل المثال نتساءل :

إذا كان ما سبق التوصل إليه من أبعاد لشخصية (صانعي الضحك) قد ارتبط باحتراف أو هواية هذه المهنة ، ألا يمكن أن نتوقع ارتباط البعض منها بشخصية المستجيب للعمل الفكاهي ؟

ثم إذا كان التراث في مجال التنظير للفكاهة والضحك يشير في أكثر من موضع إلي ارتباط العدوانية بهذا المجال ، وقد حاولت بعض الأبحاث الميدانية اختبار هذه المقولة وأسفرت عن الإجابة بالإيجاب ، هل لنا أن نتساءل : تري ما هي شكل العلاقة بين العدوانية وبين استجابة الضحك ؟ وإلي أي مدي يمكن أن تساعدنا معرفتنا بطبيعة هذه العلاقة إلي استخدام الضحك في مجالات العلاج النفسي ، أو التأهيل النفسي للإنسان ؟

ثم .. هل تتمايز فنون الكوميديا في علاقتها باستجابة الضحك ؟ وماذا عن الضحك المرير ؟ وهل يمكن قياسه ؟

وإذا كان لاستجابة الضحك أن تعكس لنا قدرا من عدوانية الفرد لن يكشفه لنا إلا البحث ، فهل لهذه الاستجابة أيضا أن تميط لنا اللثام عن شخصية صانع الضحك كفنان الكوميديا مثلا وما تتميز به من تناقض ؟ .. فقد ذكرت الكتابات أن موليير(*) ، هذا الضاحك الباكي ، كان يشعر في أعماقه إنساناً يميل إلي الأسي أكثر مما يميل إلي المسرح . فضلاً عن هذا ، فإن ما كتب عن حياة صلاح جاهين (**) ليؤكد هذه الازدواجية في شخصية صانع الضحك . فهل يمكن الاستدلال علي هذه الازدواجية من الأعمال الإبداعية لفنان الكوميديا ، أو صانع الضحكة . ؟

والتساؤلات التي يثيرها التراث لدينا حول الضحك والضاحكين كثيرة ، ولذا فقد اختص بها الفصل الثاني نستهله بنقاط للبحث أسفرت عنها وقفتنا مع التراث .

(*) ولد موليير في ١٥ يناير ١٦٢٢ في باريس ، اشتهر بأعماله الساخرة اللاذعة لمظاهر الحذلقة والكلف والتظاهر في مجتمعه .

(**) محمد سيف ، صلاح جاهين وعالمه الشعري ، ١٩٨٦ .

(**) مني قطان ، أيام مع صلاح جاهين ، التداخل ونزيف الزمن ، ١٩٨٧ .

obeikandl.com

الفصل الثاني
استجابة الضحك وإطار مقترح للدراسة الميدانية

obeikandl.com

obeikandl.com

تقـــديم :

كما تكفل الفصل الأول بالعرض للمنطلقات النظرية التي اتخذت من الضحك موضوعا لمعالجته ، فإن الفصل الثاني هو استكمال لما بدأه الفصل السابق . ففي هذا الفصل . نستهل الكتابة بالعرض لنقاط الانطلاق المختلفة التي تمخض عنها استقراء التراث علي تنوعه وتباينه ، والتي يمكن أن تكون موضوعات لأبحاث أخري تحاول سبر غور موضوع الفكاهة بعامة ، واستجابة الضحك بخاصة .

وبناء علي تحديد هذه المنطلقات ، كان اختيارنا للمشكلة التي يعالجها البحث الراهن . ومن ثم ، كـان تحديدنا لها وصياغة الفروض التي تطرق جنباتها المختلفة . ثم اتبعنا ذلك بالعرض للمصطلحات التي اشتمل عليها تحديد مشكلة البحث الحالي وما يكتنفها من غموض أو خلط للتمييز بينها وبين غيرها من المصطلحات المتداخلة معها تمهيدا لاختيار الأدوات المناسبة لقياسها .

وفي تصورنا ، أنه لا بعد استطراد لا مكان له أن نسترسل في ذكر العديد من النقاط التي أوحي إلينا بها التراث النظري الذي اتخذ من الفكاهة والضحك موضوعاً للمعالجة . فكما قد يكون في ذلك إيضاح لموضع البحث الراهن من الأبعاد المختلفة المرتبطة بدراسة الظاهرة محور الاهتمام ، فإن فيه أيضا ما قد يكون معاونا لغيرنا من الباحثين إذا ما أرادوا استكمال الدراسة في مجال الظاهرة ذاتها .

ومن ثم ، فإذا كانت مشكلة الدراسة الراهنة قد مثلت إحدي المنطلقات التي اتخذنا منها منفذا لفهم استجابة الضحك فإنه تظل هناك العديد من النقاط التي تنتظر من يتخذ منها منطلقا لمزيد من الدراسات حول هذه الاستجابة ..

أولاً - استجابة الضحك ونقاط للبحث :

لما كان الفصل الأول من هذا الكتاب قد تكفل باستعراض مع شيء من الإيجاز في بعض مواضعه وتفضيل في غير إسهاب في مواضع أخري لأدبيات التراث الذي اتخذ من استجابة الضحك والفكاهة محورا لدراسته ، طوفنا خلاله بين المعطيات الأدبية ، وبين النظرات العلمية الفلسفية الاجتماعية النفسية ، كان لهذا كله أثره في الكشف عن العديد من النقاط التي يمكن للباحثين أن يتخذوا منها موضوعات يسبرون بدراستها غور هذه الاستجابة الإنسانية في المقام الأول ، وتعد إضافات للفهم العلمي الصحيح لها .

ومن ثم ، فإننا نستهل هذا الفصل بمحاولة لوضع هذه النقاط في صياغة علمية تزيدها وضوحا وتقترب بها من إمكانية الدراسة الميدانية ، وهي كما رأينا من خلال استقراء هذا التراث يمكن تفصيلها علي النحو التالي :

١ - أولي هذه النقاط يختص **بالبعد الذاتي** في إدراك العمل الفكاهي ومن ثم باستجابة الضحك .. والبعد الذاتي قد يتسع ليشتمل علي كل ما يكتنف الفرد من ظروف ومتغيرات لها تفاعلها مع موضوع الفكاهة ، من درجة التحضر والرقي ، والمرحلة العمرية ، والنوع الذي ينتمي إليه المستجيب ، إلي البعد المعرفي الخاص بموضوع الفكاهة . أو قد يضيق لينطوي علي أحد هذه المتغيرات فقط . فهذه الخبرة المتنوعة ، والنفس البشرية المتدفقه التي أشارت إليها الكتابات السابقة عن تلقي أو تذوق العمل الفني[*] ، هي الإطار الذي ييسر لنا بدراسته فهم أسلوب الفرد في تلقي المثيرات والاستجابة لها ليس علي مستوي الموقف الفكاهي فحسب ، بل لقد يمتد إلي مواقف الحياة بعامة .

٢ - ثاني هذه النقاط ويختص بفكرة **التزامن** في تقديم الحدث الفكاهي . فقد أشارت بعض الكتابات السابقة إلي أنه لكي تحدث استجابة الضحك ، لابد من تقديم المثيرات الفكاهية التي تمس أحداثا يعايشها الفرد ، وما زال إحساسه

---

* أنظر في هذا الصدد :
أ - ماهر حسن - ١٩٦٢ .
ب - أحمد كمال زكي . ١٩٧٢ .
جـ - مصري حنوره - ١٩٨٥ .

بها نابضا ، ومن ثم ، تصبح استجابته ذات مدلول . فهل لهذه الفكرة دلالتها عبر جميع الأعمال الفكاهية علي تباين تقسيماتها وأنواعها ، أم أن هناك أنواعا بعينها يرتبط تذوقها بالتلازم مع وقوعها في حياة الفرد ؟

٣ - ثالث هذه النقاط ويتمثل فيما عرض له التراث من اختلاف واضح بين وجهات النظر في **تفسير علاقة الانفعال باستجابة الضحك** . فعلي حين أشار البعض إلي تعليق حدوث استجابة الضحك علي لحظة استقلال يعايشها المستجيب إزاء الحدث ، فينظر إليه من الخارج دون تعاطف معه أو مشاركة له ، نجد البعض الآخر يري في حدوث استجابة الضحك دليلاً واضحاً علي وجود هذا التعاطف والمشاركة الوجدانية .. فما هي طبيعة العلاقة بين الانفعالات وبين استجابة الضحك ؟ هل هي علاقة تناقض كما عرضها البعض أم علاقة تلازم ؟ وهل يمكن أن تتغير طبيعة هذه العلاقة تبعا لتغير أنواع الفكاهة رغم اتفاقها جميعا في إحداث استجابة الضحك ؟

٤ - يمثل متغير **الذكاء** محور النقطة الرابعة التي أثارها التراث السابق عن استجابة الضحك ، إلي أي مدي يعتبر ذكاء المستجيب للعمل الفكاهي متغيرا له فاعليته في إحداث استجابة الضحك ؟ وهل يمكن لفاعلية هذا المتغير أن تتباين بين الزيادة والنقصان باختلاف أنواع الفكاهة ؟

٥ - أما النقطة الخامسة فهي تختص بإثارة التراث **لمتغير العدوانية** عبر جميع الأعمال الفكاهية التي تستثير الضحك .. فقد أجمعت الكتابات علي أن في الاستجابة بالضحك قدراً من العدوانية ، قد يقل في بعضها إلي درجة الضآلة ، بينما يزيد في بعضها الآخر ولكن يظل متغير العدوانية لدي المستجيب ضرورة لإحداث الاستجابة . ولا شك أن ارتباط هذا المتغير باستجابة الضحك جاء نتاجا لما أورده العلماء من أسباب يفسرون بها استجابة الضحك تدور غالبيتها حول التحقير والازدراء والقبح .. إلخ . حتي لقد انتهي بالبعض إلي القول بأن الكشف عن الأسنان في الابتسامة هو مؤشر لوجود هذه العدوانية . وهنا نقف لنتساءل : أي نوع من الضحك الذي يتطلب أو ينطوي ضمناً علي عدوانية زاد

قدرها أو قل ؟ هل يمكن أن ترتبط درجة العدوانية بدرجة الاستجابة الضحك المشبعة بالمرارة والأسي ، أو بالضحك المرير الذي ذكره الكردي في مقاله عن الضحك ؟

٦ - أما النقطة السادسة التي يمكن أن تعد منطلقا لبحوث أخري ، فهي تختص **بشخصية فناني الكوميديا** . لقد ساري التراث النظري ما بين المهرج Jester وبين الحكيم Sage من جهة ، وبين مجال الفكاهة وبين ميدان الابداع من جهة أخري فهل يمكن لنا دراسة مراحل العملية الإبداعية في العمل الكوميدي ؟ كما نتساءل أيضا : تري ما هي الملامح الأساسية المميزة للشخصية التي تنجح في تقديم مثل هذه الأعمال في المجتمع المصري ؟ ولا أعني هنا التركيز علي قومية الفكاهة كما ذهب الأنثروبولوجيون ، ولكنني أشير إلي أهمية اعتبار المجتمع بما ينطوي عليه من قيم واتجاهات اجتماعية ، سياسية واقتصادية حين دراسة الاستجابة للعمل الكوميدي . فقد أشار التراث إلي أن الفكاهة ليست مجرد ضحكة عابرة تمر سريعا وتنسي ، إنها في الواقع تعبير مكثف وسريع يخفي حقائق اجتماعية وسياسية وفكرية يزخر بها المجتمع . وبناء علي ذلك ، يظل ضرورة التعرف علي الملامح الأساسية المميزة للشخصية التي تستثير الضحك في المجتمع قائمالأنها قد تعد مؤشرا غير مباشر للتعرف علي شخصية المستجيب هنا وهو المجتمع المصري .

٧ - النقطة السابعة وهي نتاج لما جاء بالنقطة السالفة الذكر ، وتختص بدراسة **النكتة في المجتمع المصري** . فالقيام بالتحليل النفسي الاجتماعي للنكتة في المجتمع المصري يساعد علي فهم شخصية أفراد هذا المجتمع . فضلاً عن هذا ، فقد ذكر التراث أنه كان للنكات التي أطلقها اليهود علي أنفسهم دلالتها في توصيف موقفهم من أنفسهم ومن العالم حولهم ، ومن ثم ، فإن الأقليات لها نكاتها التي تعد مؤشرا لفهم البناء النفسي والاجتماعي ، والإطار القيمي لها .. ودور الأبحاث النفسية الاجتماعية أن تتخذ من هذا المدخل مؤشرا لدراسة الأقليات في المجتمع .

٨ - النقطة الثامنة من نقاط الانطلاق من التراث النظري لموضوع الفكاهة واستجابة الضحك هو امتداد أيضا **لفكرة النكتة** وما يمكن أن تضيفه من ثراء

في فهم سيكلوجية الشعوب .. فقد أشار التراث إلي أن النكتة ترتبط بمرحلة النمو النفسي التي يمر بها الفرد ، فالأطفال لهم نكاتهم التي تعبر عن حاجاتهم في هذه المرحلة ، وكذلك المراهقون ، لهم نكاتهم التي تعبر عن حاجاتهم في مرحلة المراهقة . ولكن فضلاً عن هذا ، تظل النكتة تعبيراً عن عوامل أخري تتعدي حدود مرحلة النمو النفسي الجنسي .. ومن ثم يثور تساؤلنا : تري ، مم يضحك أطفالنا الآن ؟ وماذا يضحك شبابنا اليوم ؟ . هل يمكن من خلال تحليل نفسي اجتماعي لمضمون النكتة عبر مراحل نمو متباينة ، أن نتعرف علي الإطار القيمي والاتجاهات الاجتماعية إزاء الأحداث التي يمر بها المجتمع المصري ؟

٩ - أما النقطة التاسعة فإنها تختص **باستجابة الضحك ودرجة التحضر للإنسان** .. والدراسات المقارنة في هذا الصدد ، عبر مناطق متباينة التحضر داخل المجتمع الواحد ، وعبر مجتمعات تتباين في درجة تحضرها ، مع التحديد الدقيق لمعني التحضر ودرجته ، قد تجيب علي هذه النقطة .

١٠ - أما عاشر هذه النقاط وآخرها ، فهو **شخصية فنان الكوميديا** ، فقد ذكر التراث أن لهذه الشخصية ملامح تميزها عن غيرها من الشخصيات ، خاصة فيما يتعلق بصورة الوالدين لديه ، واتجاهاته نحو العمل الكوميدي ، مفهومه عن الآخرين ، ثم مفهومه عن ذاته . فهل يمكن لهذه الملامح أن تميز ما بين فنان الكوميديا المحترف ونظيره الهاوي أي الشخصيات التي نراها ونشعر بها من حولنا ، ونلمس قدرتها علي إطلاق النكتة وتفجير الضحك من قلب التناقضات .

وماذا عن شخصية فنان الكاريكاتير ؟ هذا الفنان الذي يعني بتقديم محرف للشخصية ، أو الفعل السلوكي . فهل يمكن لهذه الشخصية أن تجمع ما بين حب الآخرين والتعاطف معهم ، والروح المرحة ، والأفق الواسع ، وبين العدوانية التي تجعلها قادرة علي تفجير الضحك ؟

وإذا كانت هذه ملامح فنان الكاريكاتير ، فهل يتطلب تذوق هذا الفن خصائص مشابهة لدي المتلقي ؟ وهل يمكن لهذه الخصائص أن تميز بين متلق لفن الكاريكاتير ومتذوق له ؟

فهذه بعض التساؤلات التي أثارها لدينا استقراء التراث الذي اتخذ من

الفكاهة والضحك موضوعا يعالجه في ضوء معطيات الأدب مرة ، وفي ضوء التفسيرات العلمية نفسية كانت أو فسيولوجية أو اجتماعية مرة ثانية ، وفي ضوء السياق الاجتماعي والثقافي للجماعة مرة ثالثة .. وفي تصورنا ، أن استجابة الضحك قد تكون معينا لنا علي فهم بعض معطيات الشخصية المصرية وهو أحد أهداف المشتغلين بالأبحاث النفسية .. الأمر الذي حدا بنا إلي اختيار إحدي هذه النقاط لتكون موضعا لدراسة ميدانية في محاولة للاقتراب من فهم استجابة الضحك ومدلولاتها النفسية .

وهو ما سنتكفل بإيضاحه في هذا الفصل .

obeikandl.com

ثانيا - مشكلة البحث : الاختيار والتحديد :

بعد استعراض النقاط العشر السابقة التي يمكن لكل منها أن يعتبر نقطة انطلاق في مجال البحث الميداني لمزيد من الفهم لاستجابة الضحك ، تخيرنا - للبحث الراهن - ما يختص منها بدراسة العلاقة بين العدوانية واستجابة الضحك وذلك بغرض التعرف علي طبيعة العلاقة بين هذين المتغيرين من جهة ، ثم الكشف عن طبيعة العلاقة بين استجابة الضحك وبعض المتغيرات الأخري من جهة ثانية .

ومن ثم ، تتحدد أهداف البحث الراهن فيما يلي :

الهدف الأول :

الكشف عن طبيعة العلاقة بين العدوانية وبين استجابة الضحك

الهدف الثاني :

محاولة التوصل إلي تحديد أسباب الضحك في حدود عينة البحث .

الهدف الثالث :

محاولة الكشف عن طبيعة العلاقة بين استجابة الضحك وبين متغير النوع ، ثم بينها وبين متغير المرحلة العمرية .

الهدف الرابع :

محاولة الكشف عن العلاقة بين **إدراك الفكرة** في العمل **الفكاهي** وبين استجابة الضحك .

وهكذا ، وانطلاقا من استقراء التراث حول استجابة الضحك ومتغير العدوانية لدي المستجيب ، يمكن **صياغة الفرض الأول** من فروض الدراسة علي النحو التالي :

« يرتبط مستوي العدوانية لدي الفرد ارتباطا موجبا باستجابة الضحك ، أي أن الدرجة الأعلي المميزة للعدوانية ترتبط بالدرجة الأعلي المميزة لاستجابة

الضحك بينما ترتبط الدرجة المنخفضة علي مقياس العدوانية بالدرجة الأقل المميزة لاستجابة الضحك » .

وبناء علي ما عرضه التراث الخاص بتحديد أسباب الضحك في الاحتقار ، والازدراء ، والحط من القدر مما يسمح بانعدام التعاطف مع الأشخاص الممثلين للموقف ومن ثم تحدث استجابة الضحك ، يمكن أن نصوغ **الفرض الثاني** من فروض هذه الدراسة كما يلي :

« تتحدد أسباب الضحك - كما تقيسة الأداة المستخدمة في البحث - في الاحتقار والازدراء والحط من القدر » .

أما عن استقراء التراث الخاص بمتغير العدوانية والتي سبق لأبحاث أخري في مجال الدراسات النفسية أن تناولها ، فقد أسفرت هذه الأبحاث عن أن هناك فروقاً ذات دلالة بين الذكور والإناث علي متغير العدوانية (حسن عبد الفتاح - ١٩٨٧) كما أسفرت كذلك عن ارتباط العدوانية بالمرحلة العمرية للفرد (سميحة نصر - ١٩٨٦) .

وبناء علي ما سبق ، أمكن لنا صياغة الفرض الثالث والرابع من فروض هذه الدراسة كما يلي :

الفرض الثالث :

توجد فروق ذات دلالة بين الذكور والإناث علي استجابة الضحك داخل الفئة العمرية الواحدة

الفرض الرابع :

ترتبط استجابة الضحك ارتباطا موجبا بالتقدم في العمر .

أما الفرض الخامس من فروض هذه الدراسة ، فعلي الرغم من عدم تعرض التراث النظري بطريقة مباشرة وصريحة له ، إلا أن التراث الخاص بتذوق الفنون قد أشار إلي أهمية الإطار المرجعي للفرد ، والذي أطلق عليه مصري حنورة الأساس النفسي الفعال الذي يطبع تلقي العمل الفني أو تذوقه بطابع يميزه ما بين فـرد

وآخر . وأخص بالذكر من هذا الأساس النفسي الفعال ، الإطار الثقافي ، الذي أشار إليه سويف حين تأكيده علي أهمية هذا القالب لينصب فيه (سويف - ١٩٦٩ ، ص ١٧) .

ولقد تخيرنا في البحث الراهن البعد الخاص بإدراك الفكرةالتي يدور حولها العمل الفني (رسم الكاريكاتير) كأحد الأبعاد المساهمة في حدوث استجابة الضحك ، ومن ثم ، نصوغ الفرض الخامس علي النحو التالي :

« هناك علاقة موجبة ما بين إدراك الفكرة في العمل الفني وبين حدوث استجابة الضحك » .

obeikandl.com

ثالثا : مصطلحات البحث والتحديد :

١ - العدوانية Aggressiveness :

يذكر صلاح مخيمر في تقديمه لكتاب الغرائز الجزئية « أن العدوانية هي أشبه ما تكون بالنيران التي تدمر بحريقها وتضيء بنورها فتتيح بحرارتها للحياة أن تتكاثر وتتواصل بحيث يصدر عنها التدمير ، كما يصدر عنها الإبداع والتكاثر ، مما يعني أنها تتيح للحياة أن تزدهر كيفاً (في الإبداع) وكماً (في الإنجاب) . ولكن لتعود بها من جديد إلي العدم » .

(صلاح مخيمر - ١٩٨١ ، التقديم) .

ولا يخفي علي الدارس في هذا التعريف ، هذه الازدواجية في وظيفة العدوانية . فالوجود البشري هو نتاج لتكنيكية غرائز الحياة والموت (العدوانية) ففي الحالات السوية تكون العدوانية هي الطاقة التي تخدم غرائز الحياة بشكل غير مباشر ، فتكون في خدمة غرائز الحياة **إيجابية وتوكيدا للذات** . أما في الحالات غير السوية ، فتخدم العدوانية غرائز الموت بصورة أكثر مباشرة **تدميرا مباشـــرا للذات ، أو تدميرا غير مشـــروع للآخرين وللأشياء .**

ولقد اتفق قول مخيمر عن العدوانية ونظرة جيبون Gibbon من قبله لوظيفة العدوان في حياة الإنسان . فهو يقرر أن « الجانب العدواني النشط في حياة= الإنسان إنما هو أمر ضروري للتأثير في الحياة ، والحقيقة الواضحة أن الإنسان لم يكن ليستطيع أن يحقق سيطرته الراهنة أو يستمر علي قيد الحياة كجنس ما لم يهبه الله قدرا من العدوان » (Gibbon, 1897, p. 34) .

ولعل في هذه النظرة الإيجابية لمفهوم العدوانية ما يميط لنا اللثام عن العلاقة بين العدوانية والتوكيدية من جهة ، وبينها وبين العدائية من جهة ثانية .. فقد دأبت الأبحاث علي مبدأ التكثر في مفاهيم علم النفس علي الرغم ما بين هذه المفاهيم من تداخل قد يصل إلي حد التشابه أو التطابق في بعض الأحيان .. ومن ثم ، كان هناك ما يسمي بالتوكيدية ، وتأكيد الذات ، والعدوانية ، والعدائية .. الخ .

وبناء علي ذلك ، ونحن نعرض لقياس متغير العدوانية لدي الفرد ، لابد لنا وأن نميز بينه وبين المصطلحات السابقة التي قد تختلف عنه اصطلاحاً وشكلا ، بينما قد تتفق معه معني ومضموناً .

فالتوكيدية كما تعرفها سامية القطان (١٩٨١) هي فاصل بين العدوانية وبين الإذعانية ، أو هذه الإيجابية في العلاقات الاجتماعية فالشخص التوكيدي هو الشخص الإيجابي القادر علي المبادأة ، الواثق بنفسه ، الذي لا يخجل في المواقف الاجتماعية ، القادر علي مناقشة الرؤساء وإبداء الرأي .

ولكن حسب رؤية مخيمر الشمولية لوظيفة العدوانية فإن التوكيدية هي **العدوانية حين تخدم غرائز الحياة .**

أما العدوان ، فإن الأبحاث تتحدث عن السلوك العدواني كمرادف لظاهرة العنف . والأمثلة علي ذلك كثيرة نذكر منها علي سبيل المثال لا الحصر ، سعد المغربي (سعد المغربي – ١٩٨٧) وسناء سليمان (سناء سليمان وسعيد نصر ١٩٨٨) .

وحسب النظرة الشمولية لمخيمر ، فإن السلوك العدواني هو نتاج للعدوانية حينما تعمل في خدمة غرائز الموت فيكون التدمير للذات أو للآخرين .

ولعل تعريف (زيلمان Zillman ١٩٧٩) للعدوان بأنه نشاط يرمي به الإنسان إلي إحداث ضرر جسدي ، أو ألم جسدي لأنسان آخر يحاول تفادي هذا الضرر . ما يحدد الهدف من السلوك العدواني .

وكذلك أيضا باندورا في تعريفه للعدوان يركز علي أنه يتميز بسلوك جارح ومدمر اتفق اجتماعيا علي أنه عدواني .

ومن ثم ، فالعدوان هنا إنما يميزه السلوك الجارح أو التدميري أو المحدث للضرر العام أو الإيذاء الجسدي .

ورغم الاتفاق علي نتيجة العدوان المتمثلة في التدمير أو إحداث الضرر ، إلا أنه كان هناك الاختلاف علي علاقة الإحباط بالعدوان . إذ بينما رأي البعض ضرورة التلازم بين المتغيرين (دولارد - دوب - ميلر - مورر - سيزر ١٩٣٩)

تراجع ميلر Miller عن ذلك في ١٩٤١ حين قوله أن حدوث العدوان لابد وأن يرتبط بالضرورة بالإحباط . **ولكن حدوث الإحباط قد يدفع إلي سلوك قد يكون أو لا يكون عدوانيا .**

وقد يكون تحديد العدوان بأنه السلوك التدميري أو الجارح هو الذي أدي إلي أن يميز ما بي سلوك عدواني وآخر غير عدواني كنتيجة للإحباط ، ولكننا نتفق وتقسيم حسن عبد الفتاح لأشكال العدوان الثلاثة ما بين :

مادي (الاعتداء والإيذاء) ، لفظي (التهكم - السخرية) سلبي (التذمر - العناد) . ومن ثم ، فإن الانفجارات العدوانية التي يسببها الإحباط ، قد تبدو في أحد هذه المستويات الثلاثة .

وارتباط العدوان بالإحباط أمر لا يتسق وحدوث استجابة الضحك . كذلك الأمر يصدق علي العلاقة بين الغضب وحدوث العدوان . ولعلنا نعني هنا ونحن نتحدث عن استجابة الضحك ، الاستجابة التي تحدث نتيجة لتلقي عمل فكاهي (رسوم كاريكاتير) .

ومن هنا يبرز السؤال : هل يمكن أن يحدث العدوان دون حدوث الغضب أو الإحباط ؟ أم أن تلقي العمل الفكاهي والاستجابة له يكون بالضرورة مصحوبا بإحساس بالغضب أو الإحباط ؟

أما المصطلح الثالث والذي قد يتداخل ومصطلح العدوانية ، فهو العدائية Hostility .. فحين يعرفها الطيب يذكر أنها العدوانية المدعمة بالأذي (الطيب ١٩٨٤ - ص ١) أما إدموندس Edmunds (١٩٨٠) فهو يري أن كلاهما يشتمل علي الرغبة في إيذاء الآخرين لكن بينما تدعم العدائية **ميولا جوهرية** ، تدعم العدوانية ميولا **عرضية** .. ومن ثم ، فإننا نري أن نميز ما بين السلوك العدائي والسلوك العدواني **بدراسة للحالة** باستخدام المنهج الكلينيكي للتعرف علي الخبرات الشخصية الطفولية .

أما فولدز (١٩٦٥) فهو لا يفرق بينهما ويعتبرهما دافعا واحدا Unitary drive . كما أن الطيب قداستخدم كلمات العدوانية ، العدائية ، والعقابية بقصد الترادف حين ترجمته لمقياس العدائية لفولدز وآخرين (١٩٨٤) .

وفي تصورنا أن التعريفات التي تتناول العدوانية والعدائية بمعني واحد ، هي تعريفات لا تذكر من العدوانية إلا شقها غير السوي الذي يهدف إلي إحداث الشر للذات أو للآخرين .. ولعل مقياس (فولدز) عن العدائية - والذي سيتم عرضه حين تناولنا لأدوات البحث بالعرض والدراسة - بعباراته الواحد والخمسين والمقسمة علي أبعاد خمسة ، إنما تتحدث عن العدوانية في صورتها غير السوية حينما تهدف إلي التدمير المباشر للذات ، أو التدمير غير المشروع للآخرين أو للأشياء .

ومما سبق من عرض لمصطلح العدوانية في ارتباطه وتداخله مع بعض المصطلحات الأخري كالتوكيدية ، أو العدوان ، أو العدائية من حيث المضمون ، واختلافه معها من حيث المسمي أو الشكل ، نخلص إلي قضية التكثر أو التعددية في مصطلحات علم النفس وجدواها ، إذ أنه وفقا لمبدأ الاقتصاد في العلم ، نري - في محاولة منا للانتقال من التعددية إلي الوحدة في مصطلحات علم النفس - امكانية رد هذه المصطلحات جميعها إلي مصطلح العدوانية ومستوياتها المختلفة ، فتصبح التوكيدية ، والعدوان والعدائية هي مستويات للعدوانية تتحدد وفق الهدف من السلوك العدواني . الأمر الذي يجعلنا مع كل تقديرنا لهذه المجهودات التي تنفق في بناء الأدوات الجديدة وتقنينها بهدف الوصول إلي فهم السلوك الإنساني فهمًا أفضل ، لابد وأن نكون علي وعي بمخاطر هذه التعددية التي تؤدي إلي التداخل وقد تؤدي إلي إعاقة الفهم الصحيح .

٢ - الكاريكاتور Caricature :

الكاريكاتور والكارتون ، والخطوط الكوميدية ، كلها أشكال متقاربة تاريخيا في الظهور . فقد ظهرت علي التوالي كما ذكرت الآن ، غير أنها انتعشت جميعها في وقت واحد . والأنواع الثلاثة تتفق في أنها تتضمن عنصر الهجاء . ومن ثم ، يعرف الكاريكاتور بأنه الفن التصويري أو رسم محرف بأسلوب كوميدي بغرض الهجاء أو السخرية من موضوع الرسم شخصية كانت أو فعلا ، ومن ثم ، فقد يركز العمل الكاريكاتوري علي الخصائص البارزة للموضوع بالمبالغة حينا ، وبإضافة خصائص من كائنات أخري حينا آخر .

ولقد أخذت كلمة كاريكاتور من الفعل الإيطالي Carticare (يتحمل) أي تحميل الدابة أو العربة مثلا بعبء . ثم أصبحت تعنى اصطلاحا . كما جاء في قاموس لاروس الفرنسي – عمل صورة لشخص أو لشئ بالقلم أو الفرشاة تدعو إلي السّخرية . غير أن البعض يرجح أن استخدام الفعل الإيطالي كمصدر لكلمة الكاريكاتور جاء تأثرا بكلمة Carattere التي تعني بالإيطالية **الشخصية** ، أو بكلمة Care الأسبانية التي تعني **وجه** . ولعل ملاحظة اعتماد معظم فناني الكاريكاتور علي الوجه كنقطة إنطلاق ما يؤكد هذا الاحتمال . (New Encyclopaedia, 1985, p. 574)

ويشير يحيي حقي في كتابه عن الكونسير (يحيي حقي ، ١٩٨٠ ، ص ٩٥) أن تاريخ الكاريكاتور قد يرتبط بالإنسان البدائي . فرسوم هذا الإنسان علي جدران الكهوف تجمع في آن واحد بين براءة التقليد والنقل الحرفي وبين اقترابها من جوهر الكاريكاتور . وتعليله لهذا الاقتراب إنما يرتبط بأن التقاط السمات البارزة للشيء أو للشخص توطئة لشحنها بالمبالغة في الوصف إنما يتطلب إحساسا فطريا سليما نابعا من الجذل بالحياة ، ومن تعاطف مع كل مخلوقات الكون من إنسان وحيوان وجماد ونبات مصحوبا بدهشة لما يصافح العين للمرة الأولي ، ومن ثم فهو يري أن الإنسان البدائي هو خير وعاء لهذه الشروط جميعاً .

وإذا انتقلنا من حديثنا عن الكاريكاتور بمعناه العام إلي تناوله في سياقه المصري الخاص ، نجد يحيي حقي يؤرخ لازدهار هذا الفن بثورة ١٩١٩ ، حيث امتد من الرسم إلي بقية مجالات التعبير ، فانتقل من **المجال السياسي** (علي يد مسيو سانتيز ، ثم صاروخان الأرمني ، ثم رخا) ليغزو **مجال الأدب** . فعبد العزيز البشري مثلا يرسم لنا بنوادره صوراً كاريكاتورية لشخصيات مصرية في ذلك الوقت في كتابه (في المرآة) . ثم أحمد شوقي نفسه أمير الشعراء ، ينظم قصائد تعتمد علي الوصف الكاريكاتوري للدكتور محجوب ثابت ولحيته وحصانه .

فضلا عن هذا ، فإن لمحمود تيمور ، وطاهر لاشين أعمالا هي في حقيقتها لوحات كاريكاتورية رسمها القلم .. وقد يعتبر بيرم التونسي في وصفه للسيد

ومراته في باريس أكثر الصور الكاريكاتورية روعة وجمالا (يحيي حقي ، ١٩٨٠ ، ص ١٠) .

وكما امتد الكاريكاتور إلي مجال الأدب ، امتد كذلك إلي **النحت** ، فيري يحيي حقي أن تمثال **ابن البلد** للمثال (مختار) هو في صميمه صورة كاريكاتورية لابن البلد الأصيل ... غير أن موسيقي **سهد درويش** إنما تعد في رأيه هي العبقرية التى خرج منها فن الكاريكاتور .

ولعل العرض لهذه النماذج من الصور الكاريكاتورية كما جاءت في الأدب ، والنحت ثم الموسيقي لتنتقل بنا من محدودية الفكرة التي تربط الكاريكاتور بالرسوم إلي فكرة أكثر رحابة فيصدق عليه التعريف بأنه فن تصويري (بالقلم ، بالفرشاة ، بالنغمات أو بمادة كالطين مثلا أو الصلصال) ، بغرض الهجاء أو السخرية ... ومن ثم ، كان استخدامنا لرسوم الكاريكاتور في البحث الراهن **باعتباره وسيلة ترتبط بحدوث استجابة الضحك** .

obeikandl.com

الفصل الثالث
منهج البحث وأدوات الدراسة

obeikandl.com

تقـــديم :

والفصل الثالث من فصول هذه الدراسة يعني باستكمال نقاط المنهج المستخدم في البحث الحالي .. فمن خلال ما أسفرت عنه معالجتنا لمفاهيم الدراسة بالمناقشة والتحديد ، كان اختيارنا للادوات التي تعد أكثر ملاءمة لقياس هذه المفاهيم .. ومن هنا . اشتمل الفصل الراهن علي شرح للادوات المستخدمة في قياس العدوانية ، ثم في قياس استجابة الضحك .

ومن الملاحظ في هذا الفصل أننا قد آثرنا الحديث عن الأبحاث السابقة في مجال قياس استجابة الضحك مباشرة قبل العرض لاختيارنا لكيفية قياس هذه الاستجابة . مستهدفين بذلك وضوح العلاقة بين الطريقة التي تخيرناها هنا ، وبين محاولتنا تجنب بعض منزلقات الأبحاث السابقة في هذا الصدد من جهة ، وبين اتفاقنا وبعض ما انتهت اليه من مادة لقياس استجابة الضحك من جهة أخري .

فضلا عن هذا ، فقد تضمن هذا الفصل عرضا لمنطق اختيار العينات في البحث الراهن ، ثم بيان بتفصيل خطوات التطبيق علي هذه العينات ، وأخيرا العرض لخطة المعالجة الإحصائية للبيانات التي أسفر عنها التطبيق . وبختام هذه العناصر ، نكون في هذا الفصل قد أكملنا توضيح كل ما يتصل بالمنهج المستخدم في البحث الراهن .

أولا : متغيرات البحث ومشكلة القياس :

١ - العدوانية وأداة القياس :

لم يكشف لنا التراث في مجال العدوانية وقياسها إلا عن ندرة في الأدوات التي تتيح لنا هذه الإمكانية .. ولعل اختبار العدوانية (سامية القطان - ١٩٨٤) من أبرز هذه الأدوات .. إذ يتكون المقياس من خمسين عبارة ، يعبر نصفها عن العدوانية السوية ويعبر نصفها الآخر عن العدوانية غير السوية . وتمييز مؤلفة الاختبار هنا بين هذين **النوعين** من العدوانية إنما يعتمد علي تمييز الهدف من السلوك العدواني ، فإذا ما كان الهدف دفاعا عن النفس أو عن الآخرين فهو عدوانية إيجابية سوية ، أما إذا كان بهدف التدمير والتخريب وإحداث الضرر للأشياء والآخرين تكون العدوانية غير السوية .. ورغم **جدة الفكرة** التى قام عليها تصميم الاختبار وجودتها ، إلا أن هذه الأداة يؤخذ عليها ما يلى :

١ - استخدام بعض العبارات كان علي درجة عالية من التجريد . كأن تتحدث عن الخير بعامة في مقابل الشر دون تحديد ، الأمر الذي يجعل من الاستجابة علي مثل هذه العبارات أكثر اتصافا بالعمومية(*) .

٢ - تميزت صياغة بعض العبارات بفجاجة التعبير مما يغري المستجيب بالإجابة بالنفي . ومن أمثلة ذلك العبارات رقم (١١ ، ٢٧ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٩) ومن ثم ، قد ترجع درجة الفرد ليس إلي اتجاه العدوانية لديه كما تريد المؤلفة ، ولكن الصياغة لها اليد الطولي في تحديد اتجاه الاستجابة .

٣ - لقد استخدمت المؤلفة طريقة ليكرت في بناء مقياس العدوانية . ولهذه الطريقة مثاليها التي تؤدي في جانب منها إلي عدم التمييز بين فردين استجابا لعبارة واحدة بالنفي مثلا رغم اختلاف اتجاه كل منهما عن الآخر ... ولأضرب مثالا بالعبارة رقم (٤٠) من المقياس :

(عندما يسيء إلي شخص أرد علي الإساءة فورا) والإجابة بالإيجاب علي هذه العبارة تجمع ما بين العدواني السوي ، والعدواني غير السوي ، بينما يميز

(*) انظر العبارة رقم ٦ من المقياس السابق .

أسلوب رد الإساءة بينهما وهو ما لا تتيحه طريقة ليكرت في بناء استخبارات الشخصية .

٤ - إن صياغة الأداة بهذه العبارات التي تتطلب إجابة بالنفي أو التأكيد من قبل الفرد الناضج لا شك أنها تسمح بقدر كبير من الخداع من كل من الباحث والمبحوث معاً ، مما قد يسفر عن حرمان البحث من كثير من الاستجابات التي يمكن أن تضفي عليه ثراء وعمقا . ومن هنا ، ففي تصورنا أن ترك الإجابة مفتوحة النهاية دون تحديد من قبل الباحث قد يعود بنتيجة تفضل كثيرا القولبة ما بين التأكيد أو النفي ولأننا ما زلنا نجهل الكثير عن السلوك الإنساني وتفسيره بطريقة علمية صحيحة ، لابد لنا وأن نستمع إلي المبحوث دون قيود مسبقة .. ومن ثم ، فقد آن لنا أن نولي منهج تحليل المضمون (كما ، كيفا) مزيدا من الاهتمام في البحوث النفسية .. وقد تعتبر دراسة محمد أحمد شلبي (محمد أحمد شلبي ، ١٩٨٩) للشخصية باستخدام منهج تحليل المضمون محاولة محمودة رغم ما تعرضت له من عثرات .

أما الأداة الثانية في مجال دراسة العدوان والعدوانية ، فهو اختبار من إعداد صفاء الأعسر ١٩٨٧ ، يتكون من ثلاث وعشرين موقفاً ، مستوحاة جميعها من معايشة الإنسان المصري لما يحيط به من مثيرات بيئية متعددة . ولقد تركت المواقف جميعها مفتوحة في النهاية ، علي أن يستخدم منهج تحليل المضمون لتصنيف الاستجابات .

ومما لا شك فيه ، أن فكرة المواقف التي يقوم عليها الاختبار تفضل - في تصورنا - طريقة الاستخبارات التي تبني بطريقة ليكرت ، من حيث اقترابها من الحياة الواقعيّة التي يعايشها الفرد من ناحية ، ومن حيث اتاحتها للمبحوث حرية الاستجابة علي الموقف ، فيكون ثراء الأفكار الذي يمكن أن يضيف عمقاً ، ودقة إلي البحث . ولكن بدراسة مضمون هذه المواقف كان لنا عليها من **التحفظ الآتي :**

أن الغالبية العظمي من هذه المواقف تتشابه كثيرا وعبارات المقاييس التي وضعت للتوكيدية .. وهذا يعني أن الاستجابة علي هذه المواقف لا تسمح

بمستويات العدوانية المختلفة بالظهور ، بل تحدة بالعدوانية السوية كما تراها سامية القطان . أو بالتوكيدية كما نراها نحن . ومن ثم ، يصبح هذا المقياس متحيزا لصالح طرف من أطراف مصل العدوانية دون غيره .

أما ثالث الأدوات ، فقد كان مقياس العدوانية أحد أبعاد بطارية أيزنك للتصلب والمرونة(*) . تكون هذا المقياس من ثلاثين عبارة محددة الاستجابة (نعم - محايدة - لا) وبدراستها ، نجمل تحفظاتنا عليها فيما يلي :

١ - بناء المقياس بطريقة ليكرت إنما يعرض الاستجابة عليها لعدم الدقة عند التحليل كما سبق وأوضحنا ذلك .

٢ - إن تحديد الاستجابة في كونها بين الموافقة أو الرفض يفقد البحث الكثير من الثراء الذي يمكن الحصول عليه حينما نسمح بالاستجابة المفتوحة .

٣ - إن صياغة بعض العبارات قد تضمنت الكثير من المعاني المجردة ، ولهذا التجريد مثالبه التي تعود علي استجابة الفرد فتصبح هي كذلك علي درجة عالية من التجريد ، الأمر الذي يعوق دقة التحليل .

بناء علي ما سبق من دراسة نقدية للأدوات التي أتيح لنا رؤيتها ، كانت فكرة بناء الأداة التي استخدمت في البحث الراهن ، ونفصلها علي **النحو التالي :**

١ - تتكون من أربع وعشرين موقفا ، مستوحاة من مضمون العبارات التي أوردها أيزنك من قبل في مقياسه عن العدوانية .

٢ - روعي في صياغة المواقف أن تكون قريبة من الخبرات الحياتية التي يعايشها الفرد شخصيات وأحداث .

٣ - تلخصت طريقة الإجابة علي هذه المواقف في كونها مفتوحة النهاية لذكر السلوك الملائم للموقف مع تعليل هذا السلوك .

---

* قامت (سميحة نصر) بترجمة هذه البطارية تحت إشراف د. قدري حفني واستخدمتها في دراستها للدكتوراة ١٩٨٣ .

وبهذا حاولنا الإفادة من المعاني التي طرحها أيزنك في مقياسه ، دون التورط في استخدام طريقة ليكرت التي تفقد البحث الكثير من الثراء .

التجربة الاستطلاعية الأولى للأداة :

لأن الأداة قد اتخذت من الاستجابة غير المقيدة مطلبا لها ، فقد أجريت الدراسة الاستطلاعية لاختبار صياغة المواقف ، ومدي وضوح المواقف التي تنطوي عليها الأداة .. كان قوام هذه العينة الاستطلاعية سبعة وسبعين طالبة من كلية البنات ، جامعة عين شمس ، تتراوح أعمارهن ما بين ١٨ ، ٢١ عاما من تخصصات مختلفة وأسفرت هذه التجربة عن تعديل صياغة بعض المواقف حتي تبدو واضحة لهذا السن .

التجربة الاستطلاعية الثانية :

بعد إجراء التعديلات التي أسفرت عنها التجربة الاستطلاعية الأولي ، تم تطبيق الأداة ذاتها علي عينة أخري من الناضجين تقع أعمارهم ما بين ٤١ ، ٥٧ عاما ، قوامها ١٤ رجلا و ١٢ امرأة ، يعملن أعمالا إدارية بإدارات جامعتي عين شمس والقاهرة ، ورغم أن هذه التجربة الثانية قد أسفرت عن عدم وجود تعديلات خاصة بالصياغة ، إلا أنها قد أكدت ضرورة أخذ متغير (العمر) أو المرحلة العمرية في الاعتبار عند التطبيق الأساسي حيث لمسنا استجابات مغايرة عما حصلنا عليه من عينة الشباب .

طريقة التصحيح واعطاء الدرجة :

١ - لما كانت الإجابة علي المواقف التي تضمنتها إداة قياس متغير العدوانية غير محددة سلفا بأي من الفئات المتعارف عليها في بناء مقاييس العدوانية السابق عرضها ، فقد كان علي المستجيب أن يذكر استجابته إزاء الموقف مع تعليل هذه الاستجابة .. ومن ثم ، تجمع لدينا العديد من الاستجابات المتباينة التعليلات لكل موقف من المواقف . ولقد تمكننا من تجميع هذه الاستجابات تحت ثلاث مستويات للعدوانية وهي :

١ - المستوي الأدني . ويحصل علي الدرجة (١)

٢ - المستوي المتوسط . ويحصل علي الدرجة (٢)

٣ - المستوي الأعلي . ويحصل علي الدرجة (٣)

اعتمدنا في تحديدها علي السلوك الذي يقدمه المبحوث مع التعليل المصاحب له علي النحو التالي :

١ - **الاستجابة المحددة للمستوي الأدني :** هي الاستجابة المتميزة بالانسحاب التام أو الرفض التام للموقف لعدم القدرة علي المواجهة .

٢ - **الاستجابة المحددة للمستوي الأعلي :** هي الاستجابة يمثل السلوك العدواني الذي يقترحه الموقف ، أو ما هو أشد منه استمتاعا به في ذاته .

٣ - **المستوي المتوسط :** فهو يمثل الاستجابة ما بين الانسحاب أو الرفض ، وبين إتيان السلوك للاستمتاع به في ذاته .

فعلي سبيل المثال :

الموقف التالي يوضح تصنيف هذه المستويات الثلاثة :

لك قريب يعمل بالقضاء ، وأتاح لك فرصة حضور حكم بالإعدام علي أحد المذنبين :

فإنك:

لأن :

. وبناء علي الاستجابة أمكن تمييز هذه المستويات :

١ - اعتذر ولا أذهب لعدم قدرتي علي رؤية هذا .

٢ - إذهب لأتعظ .

٣ - أذهب لأري كيف يفقد الإنسان حياته .

وقد أعطيت الدرجات ١ ، ٢ ، ٣ لتمييز هذه المستويات .

وجدير بالذكر هنا ، أن مقياس العدوانية لسامية القطان والسابق عرضه ، كان معيناً لنا في تقسيم هذه المستويات وذلك بما طرحه من تقسيم للعدوانية

السوية وغير السوية . ولقد سبق أن أشرنا إلي جدة الفكرة وجودتها ، غير أن المثالب التي تميزت بها الأداة التي ذكرناها في موضعها ، كانت حائلا لنا دون استخدامها في البحث الحالي .. ومن ثم ، فإن الأداة الراهنة ، ومحاولة تصحيحها علي النحو السابق هي محاولة أخري لقياس العدوانية بشقيها بأسلوب قد يجنبنا بعض مزالق القياس بالطريقة التي استخدمتها سامية القطان .

٢ - أجري ثبات التحليل لتصحيح مستويات العدوانية ، فتم اختيار عشرين من استجابات عينة الشباب الاستطلاعية علي هذه الأداة ، وتم إعطاؤها لإثنين من الباحثين للتصحيح ومقارنة الدرجات بالدرجة التي أعطاها الباحث الرئيسي لذات الاستجابات .

ثم تم حساب ثبات التحليل بين الباحثين الثلاث(*) وذلك بطريقة هولستي Holsti رشدي طعيمه ، ١٩٨٧ ، ص ١٧٨) بين كل اثنين علي حدة ، وذلك بحساب المعادلة التالية :

وتأخذ هذه المعادلة في اعتبارها عدد المواقف التي تم الاتفاق علي تقديرها بين الباحثين ..

ومن أصبح لدينا النتائج الآتية :

المحللون	أ	ب
ب	٧٥ر	
جـ	٨٣ر	٧٩ر

ومن هذه النتائج ، أمكن تطبيق المعادلة التالية لاستخراج معامل الثبات بين الباحثين الثلاثة :

$$\frac{\text{ن (متوسط الاتفاق بين المحللين)}}{\text{ا + (ن - ا) (متوسط الاتفاق بين المحللين)}}$$

وأسفر ذلك عن معامل ثبات = ٩١ر٠ .

(*) الباحث الرئيسي والباحثان الخارجيان .

٢ - استجابة الضحك والأبحاث السابقة :

تصدرت مشكلة **قياس** الحس الفكاهي ، أو استجابة الضحك قائمة المشكلات المرتبطة بدراسة هذا الموضوع . وقد يرجع ذلك إلي اختلاف الباحثين في تحديد مضمون هذا الحس الفكاهي ، هل هو نوع من الاستبصار ؟ أم هو إحساس فلسفي بالحياة ؟ أو أنه يرتبط بالمزاج الخاص للفرد .. ؟ .. ولكن هذا التباين في النظر إلي مضمون هذا الحس الفكاهي لم يمنع وجود عدة محاولات للقياس ، اتخذت في بعضها من تذوق النكتة أو تأليفها وسيلة ، وفي البعض الآخر من تكملة الدعابات الناقصة أو إطلاق أسماء علي الرسوم الهزلية أسلوبا للاقتراب من دراسة روح الفكاهة لدي الأفراد وسيلة أخري .

ويشير لنا التراث إلي بعض من هذه المحاولات التي جاء ذكرها في معرض العلاقة بين روح الفكاهة وبعض المتغيرات الاجتماعية النفسية للمستجيب نتناولها نحن فيما يلي(*) :

١ - تعد دراسة هول وآلن Hall & Allin (١٨٩٧) في مقدمة هذه الدراسات حيث طلب الباحثان إلي الأفراد أن يصنفوا المواقف التي يعتبرونها فكاهية .. من خلال الاستجابات ، حاول الباحثان تصنيف هذه المواقف ورغم ما رآه الباحثان في موضوع الفكاهة من مجال ثري واعد للبحث ، إلا أن الأبحاث التي تلت هذه المحاولة ميزتها القلة .

٢ - دراسة ثانية للباحثة مارتن Martin (١٩٠٥) لدراسة **التوقع التجريبي في مجال الفكاهة** . حيث وجدت الباحثة أن الميل إلي إحدي الصور باعتبارها فكاهية إنما يعتمد علي مجموعة من العوامل تشتمل علي تلقائية الضحك من عدمها ، الحالة الجسمية الجيدة ، الروح المعنوية العالية ، فضلا عن حجم الصورة مثلا ، أو حركتها ، بينما يعتبر تكرار عرض الصورة ، أو تنظيم الصور ذاتها من عوامل تقليل الميل إلي الصورة باعتبارها فكاهية .

---

* انظر :

١ - زكريا ابراهيم ، ص ١٩٨ : ٢٠٩ .

٢ - Berlyne, D.E. 197, pp. 807 : 811.

٣ - في دراسة ثالثة للباحثة ويليامز J. M. Williams عن الفكاهة عند الأطفال ، تكونت عينتها من ثلاثمائة طفلا ، طلبت إليهم ما يلي :

(أ) أن يروي كل طفل أطرف تجربة مرت به .

(ب) أن يستحضر (يتذكر) صورة يري أنها من أمتع ما وقع عليه بصره من الصور المضحكة .

(جـ) أن يقص النكتة التي يري أنها أبرع ما سمع أو قرأ .

وقد خلصت من هذا إلي تقسيم الفكاهة عند الأطفال إلي :

أولا - موقف شخصي :

يقترن فيه تفضيل الأفراد للفكاهات بالميل الوجدأني كالتفوق والاستعلاء .

ثانيا - موقف لا شخصي :

يقترن فيه تفضيل الأفراد للفكاهات بما تنطوي عليه من مفارقة ومبالغة وخيال واسع .

ولقد استطاعت الباحثة أن تميز ما بين الموقفين بناء علي نوعية الصورة أو النكتة التي يتخيرها الطفل . **فالموقف الشخصي** قد ميزته الصورة أو النكتة التي تكشف عن بلاهة الآخرين ، والسخرية من السلطة . أما الموقف اللاشخصي فقد ميزته الصور والنكات التي تنطوي علي عنصر تفاخر أو مفارقة أو خيال جامـح .

وهنا نتساءل : هل اعتمدت الباحثة علي تبرير ما قدمه لها الطفل لاختياره صورة ، أو نكتة بعينها أما أن اعتمادها كان علي تحليلها بمفردها لمضمون الصورة أو النكتة التي استحضرها الطفل ؟ فقد كان من الضروري أن تذكر لنا الباحثة معيار الحكم علي وجود المفارقة ، أو الخيال الجامع أو الاستعلاء .. الخ .

ولكننا نعود فنقول أن غالبا ما تتسم المحاولات الأولي للقياس في ميدان ما بغموض لا يكشفه إلا المزيد من البحث في ذات المجال ، فيسير بالغموض إلي وضوح ، وبالجملة إلي تفصيل يؤدي لمزيد من الفهم .

٤ - كانت هناك دراسات قليلة حاولت اختبار بعض المقولات النظرية حول الحس الفكاهي . فقد حاول كيني Kenny ١٩٥٥ اختبار المقولة التي ترجع الفكاهة إلي التناقض Incongruity كما تقيسه التوقعات المختلفة للنهايات الخاصة بمجموعة من النكات . وعلي عكس ما تتنبأ به النظرية ، فقد أسفر البحث عن وجود علاقة إيجابية ما بين الفكاهة وبين توقع النهايات ، ولقد عَزَي كيني هذه النتيجة إلي حقيقة أن الغالبية العظمي من النكات ذات النهايات المتوقعة تتضمن دافعية داخلية تجعلها أمثلة لما أطلق عليه فرويد الميل للنكتة .

٥ - لقد حاول بيرن Byrne (١٩٥٨) اختبار المقولة التي تحدد وظيفةالفكاهة في تخفيض التوتر ، في محاولة للتعرف علي تأثير مستوي الدافع علي تقدير الفكاهة . واستخدم لذلك ثلاث مجموعات ، الأولي والثانية منها وضعا تحت ظروف تسمح بوجود درجة عالية من الدافع لتقدير الفكاهة ، بأن يتوقعا اختبارا عاجلا ، وحضور مجموعة دروس علي التوالي أما المجموعة الثالثة فقد أجريت عليها التجربة مباشرة بعد أدائها الاختبار علي فرض أنها تمثل المستوي الأقل في مستوي الدافع لتقدير الفكاهة ، وأسفرت النتائج عن أنه لم يكن للتغاير في مستوي الدافع علاقته الدالة علي ترتيب صور الكارتون .

٦ - أما ستريكلاند ١٩٥٩ ، فقد طلب إلي عينة من الطلبة أن يرتبوا ثلاثة وثلاثين صورة للكرتون ، مقسمة بالتساوي ما بين صور تعبر عن عناصر عدوانية ، وأخري جنسية ، وثالثة تعبر عن عناصر محايدة . ولقد وجد ستريكلاند أن مرور العينة بخبرة لمدة عشرين دقيقة لإثارة العدائية والخشونة ، قد أدت إلي ارتفاع تقدير الكرتون الذي يعبر عن العناصر العدوانية ، وأن خبرة مماثلة في إثارة الدافع الجنسي قد أدي إلي ارتفاع تقدير الكرتون الذي يعبر عن عناصر جنسية .. وعلي عكس هذه النتائج كان ما أسفرت عنه تجربة بيرن Byrne ١٩٦١ ، إذ كشفت تجربته عن أن إثارة الدافع الجنسي قد خفض من تقدير الكرتون القائم علي السخرية .

٧ - أما تجربة سينجر Singer (١٩٦٤) مع الزنوج لاختبار مقولة أن الفكاهة لها وظيفة التنفيس Cathartic فقد كان تصميمها يقتضي ما يلي :

(أ) أن تتعرض العينة في البداية لسماع تعليق واضح علي سوء معاملة الزنوج ، أو محاضرة عن المشكلات التي تواجه الزنوج .

(ب) ثم تستمع العينة بعد ذلك إلي عمل كوميدي ينتقد بقسوة التمييز العنصري ، أو تستمع إلي فكاهة غير عدوانية علي موضوعات مختلفة ، أو إلي محاضرة غير فكاهية .

(جـ) أعطيت العينة قائمة لقياس المزاج العام .

في بداية صيف ١٩٦٣ ، وجد سينجر أن كلا الأسلوبين في الفكاهة قد أدي إلي تخفيض العدوانية والتوتر . أما في نهاية الصيف ، وبعد عدة تجارب علي الزنوج ، فقد وجد أن الكوميديا العدائية كانت مؤثرة في تخفيف العدوان والتوتر لدي العينة التي استمعت إلي العمل الكوميدي الذي ينقد بقسوة التمييز العنصري .

٨ - وفي تجربة أخري قام بها Schacgter (١٩٦٢) ، تم حقن العينة بمادة epinepgrinel placebo أو Chlorpromazine وذلك قبل عرض فيلم كوميدي علي هذه العينة . ولقد أسفرت التجربة عن ارتباط التعبير الظاهر علي الوجه ، والتقدير اللفظي بنوعية المادة التي حقنت بها العينة إذ بينما أدت الـepinephrine إلي زيادة الاستمتاع أدت مادة الـchlorpromazine إلي تقليل الاستمتاع .

وخلاصة ما سبق من أبحاث ، ليشير إلي أن قياس الحس الفكاهي لدي الأفراد إنما يمكن الحصول عليه بأكثر من وسيلة وأسلوب .. غير أن ما يستلفت النظر عدم وجود تجربة واحدة تدل علي دراسة (استجابة الضحك) باعتبارها إحدي نتاجات الحس الفكاهي . ومن ثم فقد يكون في هذا ما يدعو إلي ضرورة دراسة ما نحن بصدده ، علنا نستطيع - بطريق غير مباشر - الكشف عن العلاقة بين الحس الفكاهي لدي الفرد وبين سمة العدوانية كسمة مميزه للشخصية التي تتمتع بهذا الحس .

وإذا كانت الأبحاث السابق عرضها قد ميزها المنحي التجريبي في التصميم والقياس ، فإن هناك نوعية أخـــري من الأبحـــاث كان لها الطـــابع الإمبريقي

١ - دراسة قام بها Kambouropoulou ١٩٢٦ ، حيث طلب إلي مجموعة من المبحوثين وصف الأحداث اليومية التي تدعوهم إلي الضحك ، ثم طلب إليهم ترتيب ستة عشر نكتة من حيث قدرتها علي استدعاء الضحك . ولقد كشف كل من الأسلوبين عن قدر من الاتساق لدي الفرد الواحد . وفي تجربة أخري للباحث ذاته ١٩٣٠ وجد أن التفضيل للفكاهة ذات الطابع الشخصي يسير جنبا إلي جنب مع الدرجة الأعلي علي الانبساط وعلي التفاعل الاجتماعي .

٢ - في دراسة ثانية قام بها لانديس Landis وروس Ross ١٩٣٣ ، طلبا إلي المبحوثين أن يرتبوا ويصنفوا مجموعة من النكات ، فوجدا لدي المنبسطين ميلا كبيرا إلي تصنيف النكات في فئة الحقائق ، بينما صنفها المنطويون في فئة (القمع) .

٣ - أما أيزنك (١٩٤٢ ، ١٩٤٧) ففي واحد من أكثر بحوثه طموحا ، استطاع أن يصنف النكات تبعا لما تنطوي عليه من مضمون معرفي ، أو انفعالي ، أو سلوكي . ولأن التجارب قد أثبتت له علاقة وثيقة ما بين الجانب الانفعالي والسلوكي معا ، فجمع بينهما تحت بعد واحد .

وفي بحث آخر قام به ١٩٤٧ علي ضحايا الحرب الثانية من الأشخاص العصابيين وعديمي التكيف ، بقصد معرفة العلاقة بين روح الفكاهة والمرض العصبي ، طلب إلي المريض تصنيف الصور الفكاهية المعروضة عليه وفقا لمعيار خاص ينطوي علي ثلاث تقديرات : ظريف جدا ، ظريف ، غير ظريف علي الإطلاق .. وتكونت أداته من ستين صورة كارتون ، خمسة عشر صورة ذات طابع جنسي وخمسة عشر أخري تنطوي علي سخرية من الجيش والضباط ورجال البحرية والطيران بينما مثلت عشر صور مواقف هزلية تنطوي علي عامل اختلاف الطبقة الاجتماعية ، وعشر صور ثانية مثلت مواقف ساذجة لا معني لها ، وأخيرا عشر صور تعبر عن موضوعات متفرقة اختيرت بطريق الصدفة البحتة . وتوصل أيزنك إلي ما يلي :

الأفراد المختبرين أقدر علي تذوق الفكاهة عموما من النماذج المصابة بالحصر أو الوسواس . مما قد يرجح احتمال التعرض للإصابة بالهستيريا لدي الذين يتمتعون بروح الفكاهة أو يقترن علي الأقل بامتلاك هذا الحس الفكاهي .

(ب) وجد ايزنك كذلك أن الأشخاص الهستيريين يفضلون النكات الجنسية علي غيرها من النكات .

(جـ) وجـد أيزنك علاقة بين الانبساط والانطواء وبين نوعية الفكاهة المفضلة . فالمنبسطون يفضلون الفكاهة التي ترضي الميول العدوانية والجنسية بينما تفضل الشخصيات المنطوية الفكاهة الذكية البارعة التي ترضي الميول العقلية .

٤ - ولقد ثني علي هذه الدراسة بيرن Byrne (١٩٥٦) ، حيث عمل علي مجموعة من المرضي النفسيين ، مقسما أياهم إلي ما بين معبر عن عدائيته بأسلوب واضح ، أو مستتر ، وما بين غير معبر عن هذه العدائية طول الوقت ، وذلك للتعرف علي العلاقة بين التعبير عن العدائية وبين تذوق صور الكارتون . ولقد وجد بيرن أن المجموعة المعبرة عن العدائية سواء صراحة أو ضمنا ، قد وجدت الكرتون المعادي أكثر إثارة وتسلية ، وكانت هي الأفضل في تمييز هذه النوعية من الكرتون عن غيره من الأنواع الأخري .. ومن ثم ، هل يمكن لنا أن نتوقع وجود علاقة بين استجابة الضحك كتعبير عن التلقي وبين درجة الفرد علي مقياس العدوانية ؟

٥ - وفي دراسة ثالثة قام بها دوريس وفيرمان Doris & Fierman (١٩٥٦) علي مجموعتين من الأفراد ، الأولي تميزت بمستوي عالٍ من القلق ، بينما اختيرت الثانية لتميزها بمستوي منخفض من القلق بناء علي مقياس للقلق . وطلب إلي المجموعتين تصنيف مجموعة من صور الكرتون (حول العدوان - والجنس (وغير محدد) علي مقياس من ست نقاط ، تمثل عدم

الموافقة أحد أطرافه ، بينما تمثل **وضوح المتعة** الطرف الثاني من المقياس . ولقد قيست كذلك التعبيرات اللفظية والظاهرة علي الفرد أثناء الحكم علي الكرتون علي مقياس من ست نقاط ، يوضع بواسطة **الباحث** . ولقد أشارت النتائج إلي ما يلى :

(أ) أن المجموعة ذات الدرجة العالية علي مقياس القلق كانت أقل استجابة للكرتون بصـــفة كلية ، وأقل استجابة للكارتون ذي الصبغة العدائية بصفة جـزئية .

(ب) أما المجموعة ذات الدرجة المنخفضة علي مقياس القلق ، فقد أظهرت قبولا واضحا للكرتون الذي لا يعني شيئا محددا فقط مع الباحث من الجنس المغاير .

وعند هذا البحث نتوقف عند **المعيار الخاص بقياس** استجابة المبحوث من خلال التعبيرات اللفظية أو الظاهرة علي الوجه ، وهو مقياس من ست نقاط يتولاه الباحث من ملاحظته علي المبحوث .. ونتساءل : كيف يمكن للباحث أن يفصل بين تقـديره الشـــخصي لاستجابة المبحـــوث وبين تقدير الاستجابة في ذاتها ؟ . لا شك أنه من الصعوبة بمكان مما كان يدعو إلي ضرورة تعدد الباحثين لضبط هذا المعيار علي وجه الخصوص .

٦ - وفي دراسة أخري قام بها ريدلش Redlich مع ليفين Levin (١٩٦٠) للمقارنة بين مجموعة من الأسوياء وبين مجموعة أخري من المرضي النفســـيين علي تصنيف مجموعة من صور الكارتون إلي ما بين يحبه ، ولا يحبه ، وما لا يستطيع تحديد رأيه تجاهه .. ولقد تميزت مجموعة المرضي بالاستجابة الأقل من حيث الضحك أو التعبير عن التفضيل عن مجموعة الأسوياء . وقد كان هناك معامل إرتباط سالب لدي مجموعة المرضي بين درجة تفضيل الكارتون ، وبين الميل إلي عدم فهمه ولأن الباحثين قد قاما بمقارنة الجموعتين علي متغير الذكاء ، فقد خلصا إلي أن **العوامل الانفعالية** وليست العوامل العقلية هي المسئولة عن الفشل في تذوق الكارتون أو فهمه .

وتستوقفنا النتيجة التي خلص إليها البحث السابق عند علاقة العوامل العقلية بفهم الكارتون من عدمه . فعلي الرغم من ضبط الباحثين لهذا المتغير لدي المجموعتين ، يظل السؤال قائما : ألا يمثل الجانب العقلي أحد أبعاد عملية الإدراك ؟ خاصة وأن التراث قد أشار لنا من قبل إلي أن **عملية التذوق هي** نتاج لما أطلق عليه **حنورة من قبل الأساس النفسي الفعال** ، والذي يعتبر الجانب الذهني أحد أبعاده (مصرى حنوره ، ١٩٨٥ ، ص ٣٠) .

٧ - أما كاتل ولوبرسكي Cattell & Lobersky فقد قاما بدراسة أخري علي مجموعة من الأفراد ، طلب إليهم أن يقســـموا مائة نكتة في فئتين ما بين (جيد) و(ضــعيف) للتعرف علي العلاقة بين ذلك وبين بعض أبعــاد الشخصية . وباستخدام التحليل العاملي ، خلص الباحثان إلي تحديد خمسة أبعاد للشخصية لها علاقتها بتصنيف النكات وهي :

(أ) تأكيد الذات Self assertion

(ب) السيطرة Dominance

(جـ) الحسية الطليقة في مقابل العدوانية ذات الطابع الجنسي المقمعة Easy-going sensuality Versus Sex rpressed aggressivenes

(د) السخرية المغلوبة على أمرها resigned derision

(هـ) الزيف الحضري Urban Sophistication

ومما لا خلاف عليه ، أن تصنيف النكات في هذا البحث لا شك له علاقته بشخصية الفرد ، ولكن ... كيف يمكن الحكم علي هذه العلاقة في غيبة من عدم تعرفنا علي كيفية اختيار النكات التي تم طرحها علي عينة البحث ؟ هل تم الاختيار مثلا بواسطة متخصصين في مجال الكوميديا ؟ ثم .. حتي وإن كان الاختيار قد تم علي هذا النحو ، هل يمكن لنا أن نتجاهل أو ندير الفكر بعيداً عن الأبعاد الذاتية - حتي لدي المتخصصين - ودورها في عملية الاختيار ؟

كيف يمكن أن نقيس الحس الفكاهي للفرد من خلال معيار محدد سلفا من قبل آخرين حتي وإن كانوا من المتخصصين ؟ .

٣ - استجابة الضحك وكيفية القياس :

ولعل في استعراضنا للأبحاث السابقة جميعها في مجال دراسة الحس الفكاهي ما يشير إلي أن **استجابة الضحك** لدي الإنسان لم تحظ بمحاولات واضحة للاقتراب من قياسها سواء كان علي مستوي البحوث التجريبية أو البحوث الإمبريقية السالفة الذكر ، اللهم إلا محاولة واحدة جديرة بالذكر هنا وهو البحث رقم (٥) من البحوث الميدانية ... وعلي الرغم من عدم التصريح من قبل الباحثين باتخاذ استجابة الضحك كمعيار للتذوق أو القبول للأداة المقدمة للأفراد ، فقد أشارا ضمنا إلي اعتمادهم علي تقدير التعبيرات الظاهرة علي وجه الفرد كأحد الأبعاد المحددة للاستجابة ، غير أن اعتماد تقدير هذا البعد علي رؤية الباحث وتقديره الخاص الذي يترجمه إلي علامة علي مقياس من ست نقاط ، هو ما يمثل نقطة سالبة تحسب علي هذا البحث للأسباب التي ذكرناها عندما عرضنا بالنقد لهذا البحث عند ذكره .

وبناء علي ما سبق ، استبعدنا أن تقاس **استجابة الضحك** في هذا البحث من خلال التقديرات الخاصة للباحث كما يراها علي وجه المبحوث ... ولكن ، قد كان لمحاولة مصري حنوره في مجال قياس التذوق الجمالي بعض الهداية لنا إلي ما انتهينا اليه من أسلوب رأيناه أكثر موضوعية عند قياس هذه الاستجابة . فقد اعتمد حنوره علي مقياس مكون من ٩ نقاط ، يضع الفرد نفسه علي إحدي هذه النقاط من حيث رؤيته لمدي كفاءة الصورة في التعبير عن الفكرة وتمتعها بالبعد الجمالي .. الخ . (مصري حنوره ،١٩٨٥ ، ص ٨٣) .

ولا شك في أن يكون الفرد هو مصدر تقديره لذاته هو أقرب إلي الصحة من تقدير الباحث له . ومن هنا استقر الرأي - بعد استشارة عدد من المتخصصين في المجال - أن يكون الفرد مصدر تقديره لاستجابته للمادة الفكاهية المقدمة اليه علي مقياس من عشر نقاط تبدأ بالدرجة (١) وينتهي بالدرجة (عشرة) .

أما عن المادة التي اختيرت لإثارة استجابة الضحك فقد خلصنا من البحوث السابقة ، ان صور الكارتون ، والنكتة قد مثلت عاملا مشتركا عبر الغالبية العظمي من هذه الأبحاث ومن ثم ، **فقد كان تفضيلنا لصور**

الكاريكاتور علي استخدام النكتة يعزي إلي ما يلي من أسباب :

(أ) إن الرسوم الكاريكاتورية كما يراها الغالبية العظمي من الأفراد هي نكتة مرسومة ، تهدف إلي الضحك مما يجعلها وثيقة الصلة بموضوع البحث الراهن .

(ب) إن تطبيق هذه الرسوم - في مجال البحث - لا يحتاج إلي مواصفات مميزة لشخصية الباحث كما هو مطلوب مثلا في قائل النكتة أو النادرة ، الأمر الذي يجعل من شخصية الباحث بعداً - في مجال التطبيق - لا يتطلب مراعاته وفق معيار ما .

(جـ) بناء علي ما أشار إليه التراث عن الفكاهة والضحك ، من ضرورة تواجد **عامل الحداثة** ، حتي يعايش المستجيب الحدث وينفعل له ، تصبح الرسوم الكاريكاتورية التي تعرض لأحداث تحيط بنا ومن حولنا ، نراها يوميا وننفعل بها ، هي من أكثر الأدوات أفضلية في الحصول علي استجابة الضحك .

(د) إن رسوم الكاريكاتور لها من الشيوع عبر الصحيفة اليومية ، والمجلة الأسبوعية ما يجعلها تتمتع بدرجة كبيرة من ألفه الأفراد بها . فضلا عن أن استخدام هذه الرسوم **لمفردات لغوية** متداولة بين الأفراد مما يجعل فهمها ليس من الصعوبة بمكان خاصة في المرحلة الجامعية .

(هـ) توفر مجموعات من هذه الرسوم الكاريكاتورية أمر يساعد علي اختيار عينة منها بأسلوب أكثر تنظيما ، لا يتيحه لنا اعتمادنا علي النكتة أو النادرة مثلاً .

بناء عل ما سبق ، كان اختيارنا لبعض رسوم الكاريكاتور باعتبارها أداة نقيس عن طريقها استجابة الضحك وهي موضوع البحث الراهن . ولقد تم اختيار هذه الرسوم علي النحو التالي :

(أ) أصدرت دار المستقبل العربي عام ١٩٨٨ ، **سداسية صلاح جاهين الكاريكاتورية** تضم أعمال هذا الفنان بدءا من ١٩٧٢ وحتي ١٩٨٥ ..

ونظراً لما تمتع به هـذا الفنان من شعبية كبيرة علي مستوي مختلف الفئات المصرية ، فقد رأينا في اختيار بعض صور هذا المؤلف ما يساعد علي تحقيق استجابة الضحك لدي الأفراد .

(ب) هناك تجميع آخر غير منشور لرسام الكاريكاتور الفنان **رخا** ، حصلنا عليه من زملائه الفنانين في المجال ولكن ما يلاحظ علي هذا الجمع من الصور هو تميزه بهذا الطابع السياسي الواضح ، والذي يمس فترة تاريخية سابقة عاشتها مصر ، قد كان لأحداثها صداها في ذلك الوقت ، ومن ثم فقد قررنا استبعاد الاستعانة ببعض هذه المادة لارتباطها بأحداث سياسة في المقام الأول قد يكون من معوقات التطبيق فضلا عن ارتباطها بأحداث كان لها صداها وقت حدوثها .. ومن المفروض في استخدام الكاريكاتور كما أشار التراث ، أن يكون هناك **عامل الحداثة** الذي يعني معايشة الفرد ومعاصرته للحدث الذي يعبر عنه فن الكاريكاتور حتي يمكن أن يكون هناك الأثر المطلوب .

(جـ) هناك الإبداعات اليومية **لمصطفي حسين** في جريدة الأخبار والتي تعد مرآة لما يعيشه المجتمع من أحداث وصدي مباشرا لكل ما يعرض لهذا المجتمع من أحداث وما تظهر فيه من نوعيات بشرية يفرزها المناخ الاجتماعي الاقتصادي السياسي فيه .

وبناء علي ما سبق ، استقر الرأي علي اختيار ثماني صور كاريكاتورية من أعمال صلاح جاهين (بطريقة عشوائية منظمة) ، وأحدث ثلاث صور من إبداعات مصطفي حسين . وبذلك تكونت هذه الأداة من إحدي عشرة صورة كاريكاتورية ، تمس جميعها أحداثا نعايشها ، ولها صداها في عقولنا ونفوسنا ، **وهي حول الموضوعات الآتية :**

التلوث - الامتحانات - الشخصيات الانتهازية - قتل الأزواج - الإقبال علي المستورد - ظاهرة الهبوط الفني - الدروس الخصوصية - العائد المادي في مقابل الشهادات .

ثانياً - عينة البحث ومنطق الاختيار :

انطلاقاً من صياغتنا السابقة لفروض هذه الدراسة ، كان اختيارنا للعينات الآتية لاختبار صحة القضايا التي انطوت عليها الفروض . وهذه العينات هي كالآتي :

١ - عينة من الطلبة الشباب في المرحلة ما بين ١٨ ، ٢٠ عاما وقد جاء اختيارها لأنها تمثل المرحلة الأخيرة من مراحل المراهقة وقبيل مرحلة الرشد . وتكونت العينة من ثلاثين طالبا من كليتي الآداب والتجارة جامعة القاهرة بالسنة الأولي (١٣ طالبا) ومن الكليات المماثلة من جامعة عين شمس (١٧ طالبا) .

٢ - عينة من الطالبات الشابات تنطبق عليهن مواصفات العينة السابقة من الشباب . وتكونت العينة من واحد وثلاثين طالبة (١٩ طالبة من جامعة القاهرة ، ١٢ طالبة من جامعة عين شمس) .

٣ - عينة من الذكور الناضجين ، من متوسطي العمر ما بين ٤٠ - ٦٠ عاما ، والحاصلين علي الشهادات الجامعية ويعايشون خبرة العمل في المؤسسات والشركات الحكومية .. ولقد كان قوام هذه العينة أربع وعشرون رجلا .

٤ - عينة من الإناث من متوسطي العمر ما بين ٣٨ - ٦٠ عاما الحاصلات علي الشهادات الجامعية ويعايشن خبرة العمل كذلك في المؤسسات والشركات الحكومية وبلغ عدد هذه العينة أربع وعشرون إمرأة .

والواقع أن اختيار العينات الأربع السابقة قد روعي اتساقه وما طرحه التراث الخاص بالعدوانية واستجابة الضحك من أهمية متغير النوع والمرحلة العمرية بالنسبة لموضوع البحث الراهي والجدول رقم (١) يوضح لنا العينات الأربع السابقة من حيث الخصائص التي تميزها :

الجدول رقم (١)
يوضح لنا تقسيمات العينات الأربع

نوع العينة	اسم المؤسسة	ذكور	إناث
طلبة الفرقة الأولى جامعة القاهرة	كلية الآداب	١٠	١٥
	كلية التجارة	٣	٤
طلبة الفرقة الأولى جامعة عين شمس	كلية الآداب	١٢	٩
	كلية التجارة	٥	٣
إجمالي		٣٠	٣١
متوسط العمر (عينة الناضجين)	- إدارة كلية البنات - إدارة كلية الآداب جامعة القاهرة - إدارة كلية الآداب جامعة عين شمس - معهد التخطيط القومي - ادارة الدفاع الجوي	٢٤	٢٤

ثالثا - التطبيق :

تم التطبيق لهذه الأدوات التي سبق الحديث عنها وهي :

١ - أداة قياس العدوانية .

٢ - أداة قياس استجابة الضحك .

ولقد أردنا أن يكون التطبيق لهاتين الآداتين عن طريق المقابلة مع المستجيب ، ولكن ، لاحظنا أن الغالبية العظمي من عينة البحث (شباباً وناضجين) قد آثروا الانفراد بأنفسهم عند التطبيق سواء كان علي أداة قياس العدوانية أو علي أداة قياس استجابة الضحك ..

ولا شك أن الاستجابة للمواقف التي تضمنتها الأداة الأولي إنما هي نوع من الاستبطان ، الذي قد يعوقه وجود الباحث أمام المستجيب أثناء التطبيق .

وكذلك الأمر أيضا بالنسبة لأداة قياس استجابة الضحك .. ومن ثم ، كان التطبيق يتم في وجود الباحث علي مسافة قصيرة من المبحوث استجابة للمبحوث من ناحية ، وطبيعة الموضوع والمتغيرات المطروحة من ناحية ثانية .

ولقد استغرق تطبيق هاتين الأداتين ما بين ٩٠ : ١٢٠ دقيقة وهو زمن ليس بالقصير ، وقد يفسر لنا ذلك عدم استجابة العدد الكثير من عينة الناضجين الأمر الذي أدي إلي تحديد العينة في أربع وعشرين مبحوثا من كل من الجنسين .

رابعا - المعالجة الإحصائية :

تضمنت خطة المعالجة الإحصائية الخطوات الآتية :

١ - لاختبار الفرض الخاص بالعلاقة بين العدوانية واستجابة الضحك ، ثم استخدام تحليل التباين لكل عينة من العينات الأربع ، ثم استخدام اختبار (ت) .

٢ - لاختبار الفرض الخاص بالعلاقة بين استجابة الضحك وإدراك الفكرة التي يقوم عليها رسم الكاريكاتور ، تم استخدام (كا^2) للتعرف علي دلالة الفروق بين التكرارات علي الصورة الواحدة .

٣ - حساب التكرارات والنسبة المئوية لترتيب تكرارات أسباب الضحك لكل من عينة الشباب والناضجين من الجنسين .

٤ - حساب اختبار (ت) للتعرف علي دلالة الفروق بين العينات الأربع علي متغير استجابة الضحك .

وبالانتهاء من الفصل الثالث ، تكون قد وفينا فصول الباب الأول الذي عني بالعرض تارة لأدبيات الدراسة بشقيها العدوانية واستجابة الضحك ، وبالمناقشة تارة أخري استجابة لما يطرحه التراث ذاته من مثيرات فكرية جديرة بالبحث ، الأمر الذي أدي إلي انتقاء متغيرات الدراسة الراهنة ووضعها علي محك الاختبار الميداني .. أما عن نتائج هذه الدراسة ، فهو ما ستتكفل به فصول الباب الثاني من هذا الكتاب .